# قاسيون

العدد 452
السبت 8 أيار 2010
12 صفحة . الثمن (10) ل.س

بلغ عدد رواد موقعنا الالكتروني
حتى تاريخ إغلاق هذا العدد (13.911.043 ) زائراً..
زوروا «قاسيون» على موقعها الالكتروني:
WWW.KASSIOUN.ORG

ياعمال العالم، ويا أيتها الشعوب المضطَهَدة اتحدوا!

دمشق . ص . ب (35033) . تلفاكس (3349208) . أنترنت: (WWW.KASSIOUN.ORG) . بريد الكتروني: (GENERAL@KASSIOUN.ORG)




مسار الاحتجاجات الشعبية في اليونان على إجراءات التقشف الحكومية يأخذ منحى تصاعدياً مع خروج مئات الآلاف في تظاهرات جديدة في مختلف المدن اليونانية، واستمرار المواجهات المكشوفة بين المحتجين وعناصر الشرطة، وسقوط ثلاث ضحايا في إضرام النيران بمصرف وسط أثينا، في حين اختارت بعض المتظاهرات لبس السواد في إعلان للحداد الوطني تحت وطأة قيود الأزمة العاصفة باستقرار البلاد وحياة أبنائها.

## الافتتاحية

# سورية في عين العاصفة

لسنا الآن بصدد النقاش مع الذين اعتبروا مجيء الرئيس أوباما «بارقة أمل»، يمكن أن تحدث تعديلاً في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة، و كذلك لسنا بصدد تذكير الذين «انبهروا» بخطابيه في تركيا ومصر وما طرحه حول ضرورة الحوار مع الإسلام ومع بعض دول المنطقة مثل سورية وإيران، وما آلت إليه الأمور بعد ذلك من حيث جلاء المواقف الملتبسة وازدياد الوضوح في العدوانية الأمريكية تجاه شعوب المنطقة والعالم من خلال المحطات التالية:

- كثافة وتكرار التزام باراك أوباما وأركان إدارته بالحفاظ على أمن الكيان الصهيوني، واعتبار قوة هذا الكيان ثروة وضرورة استراتيجية، وجزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي الأمريكي.
- إعلان أوباما «غير المسبوق» بأن إيران وكوريا «الشمالية» غير مستثنيتين من الضربة النووية.
- الضغط المكشوف على قادة دول الاعتلال العربي لتأمين غطاء رسمي عربي للسلطة في رام الله لعودة المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية، وعدم ربط ذلك لا بضمانات أمريكية، ولا بتراجع إسرائيلي عن مخطط التهويد الزاحف، ولا عن أي ملف من الملفات الأمنية العالقة، مثل: حصار قطاع غزة، وقضية الأسرى، ومصادرة الأراضي الفلسطينية، والاغتيالات، وإقامة الحواجز التي بلغ عددها ٦٦٤ حاجزا في الضفة الغربية المحتلة.
- استدعاء القائم بالأعمال السوري في واشنطن وتبني المزاعم الإسرائيلية حول تسليح حزب الله بصواريخ «سكود».. وقد ترافق ذلك مع تهديدات نائب وزير الحرب الصهيوني متان فلنائي حول «إعادة سورية إلى العصر الحجري في حال وقوع الحرب».
- إقدام الرئيس أوباما على خطوة تصعيدية جديدة ضد سورية، ليس فقط بتمديد «العقوبات الاقتصادية» لسنة جديدة، بل والأخطر من ذلك اعتبار أوباما أن «السياسة السورية تشكل خطرا استثنائيا على الأمن القومي الأمريكي»، وهذا ما يضع سورية في عين العاصفة أكثر من أي وقت مضى، ونحن هنا لا نهوّل، ولكن أيضا، لا نهوّن، وإنما نقرأ دلالات السيناريو الأمريكي – الإسرائيلي التصعيدي ضد سورية والمقاومة في لبنان وفلسطين وفي المنطقة عموما، وليس دون دلالة رد الفعل الأمريكي على قمة دمشق الثلاثية، والموقف السوري المعارض لعودة المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية، وضد تجاوز «لجنة المتابعة العربية» لصلاحياتها في اجتماع القاهرة.
- إن أخطر ما تسعى إليه إدارة أوباما، وبالجملة، هو تثبيت وضع العالم العربي تحت الوصاية الأمريكية الإسرائيلية.. فهذه قضية فلسطين، وبسبب التحالف الإمبريالي الصهيوني – الرجعي العربي، لم تعد موجودة كقضية قائمة بذاتها في مجلس الأمن وغيره من المحافل الدولية، بل يجري العمل، ترغيباً وترهيباً، لتحويلها إلى تفاصيل بعد أوسلو وإقامة سلطة الوهم في رام الله. وكل الحديث عن حل الدولتين لا يعدو كونه محاولة خلق «كيان فلسطيني» لا يتجاوز الحكم الذاتي في إطار السيطرة الصهيونية على فلسطين التاريخية كلها.

في إطار ما تقدم، يصبح من الواضح أننا أمام مواجهة مرتقبة مع التحالف الإمبريالي- الصهيوني مدعوما بأتباعه من داخل كل بلد عربي. وإذا كنا لسنا بصدد التنجيم حول تحديد زمن وقوع العدوان على سورية أو لبنان أو حتى على إيران، فإننا نلفت الانتباه إلى أن سر انتصار المقاومة في حرب تموز عام ٢٠٠٦ هو الاستعدادات الشاملة، عدة وعددا، قبل وقوع العدوان وامتلاك الإرادة السياسية للمواجهة في أي وقت، وعلى أي مستوى خاصة وأننا أمام عدو يفرض على شعوب منطقتنا مواجهة مكشوفة لا يمكن حلها بالدبلوماسية أو الحلول الوسط.

ولايجوز نقاش إمكانية وقوع العدوان من عدمه من خلال صدق أو كذب الذرائع التي يستخدمها التحالف الامبريالي- الصهيوني لشن حروبه العدوانية على بلادنا ومنطقتنا. فالمسألة أعقد من ذلك بكثير، لأن محددات وقوع العدوان غالباً ما يحاول العدو إخفاءها وعدم الجهر بها. لكن ترافق ازدياد التصعيد الأمريكي- الصهيوني ضد سورية ولبنان وإيران مع ازدياد تفاقم الأزمة الاقتصادية الرأسمالية العالمية، وازدياد تعثر المشروع الأمريكي في كل مكان تجعل الامبريالية الأمريكية محكومة باستمرار البحث عن الحرب لدرء خطر الانهيار الداخلي الذي يهدد كل بلدان المنظومة الرأسمالية من الأطراف وحتى المركز، وما يجري في اليونان هو بداية الغيث. ولأن واشنطن تعتبر أن سورية وحلفاءها وما حققته المقاومات العربية من انجازات موصوفة، تعيق المخطط الأمريكي الاستراتيجي في المنطقة من غير المسموح لنا الاستهانة بما يخططه التحالف الامبريالي- الصهيوني من عدوان مرتقب ضد بلدنا سورية.

.. واستكمالاً للمواقف والردود السورية الرسمية الجدية والرافضة للتهديدات والحازمة حول نقل المعركة إلى مدن العدو إن تجرأ على العدوان، فإن الاستعداد لمواجهة العدوان يتطلب تعبئة قوى المجتمع على الأرض. وحتى يصبح خيار المقاومة خيارا شعبياً جارفاً ينقل سورية على المستوى الإقليمي من حالة الدفاع والممانعة إلى حالة الهجوم، لا بد من قطع الطريق على أعداء الداخل من قوى النهب والفساد الكبير الذين تنحصر وطنيتهم في جيوبهم وهذا يتطلب إسقاط السياسات الليبرالية الاقتصادية للفريق الاقتصادي، وفي ذلك ضمانة لكرامة الوطن والمواطن.

■■


حدَثَ في مجلس اتحاد نقابات العمال..
وزير الزراعة يجهل ما يحدث في المالكية .. 5

الصدأ يتهدَّد موسم القمح..
إصابة أكثر من ١٩٠ ألف هكتار بالوباء .. 6


# السودان يتجه لفك الارتباط بالدولار

في خطوة لا تغيب عنها الأبعاد السياسية تدرس الحكومة السودانية فك ارتباط عملتها بالدولار الأميركي خلال الربع الأخير من العام الجاري. وأوضح محافظ بنك السودان المركزي صابر محمد الحسن خلال مؤتمر مالي بالبحرين أن البنك يضع خطة لربط الجنيه السوداني بسلة عملات لشركائه التجاريين الرئيسيين بدلاً من الدولار الأميركي وحده.

وأشار إلى أن الخطة تهدف إلى المساعدة على احتواء التضخم نظراً للأثر الكبير للعملة على الأسعار. وتوقع الحسن أن يكون للدولار أكبر وزن في السلة بما لا يقل عن ٥٠ ٪، وأضاف أنه تجري دراسة أن تحوي السلة أيضا اليورو والجنيه الإسترليني وعملات آسيوية أخرى على رأسها اليوان الصيني.

ويدير السودان حالياً نظام تعويم محكوم حيث يقوم البنك بحساب سعر إرشادي على أساس معاملات اليوم السابق ويتدخل في السوق إذا انحرف السعر عن نطاق يزيد أو يقل بـ٣ ٪ عن ذلك المستوى.

وكشف المحافظ عن خطة لخفض التضخم السنوي في البلاد إلى ما بين ٧ ٪ و٩ ٪ من نحو ١٢ ٪ في نيسان الماضي، عبر «سياسة نقدية متشددة».

وتثير الطفرة السعرية القلق في أكبر بلد أفريقي وهو يحاول الابتعاد عن الاعتماد على صادرات النفط ويواجه استفتاء قد يفضي إلى انفصال الجنوب.

وعزا الحسن ارتفاع الأسعار بالبلاد إلى التضخم الوارد يدعمه ضعف العملة وسياسة نقدية توسعية لمواجهة تداعيات «التباطؤ العالمي».

ودعا الحسن كلاً من الشمال والجنوب إلى الاحتفاظ بالجنيه لـ«بعض الوقت» إذا أسفر الاستفتاء المزمع أوائل العام القادم عن انفصال الجنوب، مشيراً إلى أنه ليس من السهل إصدار عملة جديدة.

تجدر الإشارة إلى أنه في السنوات التي أعقبت توقيع اتفاق سلام بين الشمال والجنوب السوداني عام ٢٠٠٥، سجلت استثمارات أجنبية كبيرة الأمر الذي دفع الاقتصاد لتحقيق معدلات نمو سنوية بنحو ٩ ٪ في المتوسط.

وحث المحافظ بلاده على معالجة ديونها الخارجية البالغة ٣٤ مليار دولار قبل التصويت على الانفصال وذلك لـ«تسهيله»، حسبما أوردت وكالة رويترز.

وبغض النظر عن هذه التفاعلات الداخلية يبدو أن هذا التوجه السوداني نحو الانضمام لعدد متزايد من الدول التي تفك ارتباط عملاتها المحلية بالدولار، يشكل رسالة اقتصادية سياسية لواشنطن، ومن شأنه أن يزيد في ضعف المكانة العالمية للعملة الأمريكية المأزومة.

■■

# الله يا النائب.. لو تفعلها!

**قاسيون**

ما يزال صدى تصريح النائب الاقتصادي الأخير المتعلق بزيادة الناتج المحلي الإجمالي إلى ١٠٠ مليار دولار عام ٢٠١٥ يتردد بين جبلي قاسيون في دمشق والزاوية في حلب، ما يعكس شدة التصريح واختراقه لجميع الحواجز الفيزيائية المعروفة، إذ لم يسمعه أحد إلاّ وفتح عينيه إلى آخر مدى ليستجمع بعض الصور المساعدة لتخيل المشهد المستقبلي الرائع!.

سبق أن تناولنا التصريح وعدم انسجامه مع الواقع المعاش في مقال سابق، لكن وبما أن من أطلقه أشد انتماء للواقع الافتراضي و"راشيتاته" ووصفاته فلابد من أخذه على محمل الجد قليلاً لئلا تصيبنا لومة لائم، قال النائب الاقتصادي إن مجمل ما ينتجه الاقتصاد السوري سيصبح عام ٢٠١٥ «أكبر من مجموع اقتصادي لبنان والأردن»، أي قرابة ١٠٠ مليار دولار أمريكي، وقلنا إن المؤشرات الحالية انطلاقاً من أرقام صندوق النقد الدولي «حليف النائب» تؤكد أن اقتصادا يسير من ٥٤.٥ مليار دولار عام ٢٠٠٨ إلى ٥٢.٥ مليار دولار في العام ٢٠٠٩، سيصل في حال الإبقاء على النهج الاقتصادي المتبع في البلاد والإبقاء على "حامليه" إلى ٤٢.١ ملياراً عام ٢٠١٥.

إلاّ أننا طبعاً لم نأخذ بعين الاعتبار في المرة السابقة أن هذا الرقم قابل للتحقيق إذا توفرت بعض الشروط الكفيلة بالوصول إلى معدل نمو اقتصادي حقيقي لا يقل عن ١٤ ٪، ولهذا وجب التنويه، إذ من الممكن أن يفاجئنا النائب الاقتصادي وهو يسبق نفسه وخططه وخطط أصحابه، فيصل بالاقتصاد الوطني «من غامض علمه» إلى معدل نمو يزيد على المعدل المخطط في الخطة الخمسية الحادية عشرة (٨ ٪ حسب آخر الأنباء) بنحو ٦ ٪ إضافية، ومن يعلم، أليست الليبرالية على كل شيء افتراضي قديرة؟! فهل يفعلها النائب ويخلق تلك الأرضية الكفيلة بتحقيق نمو يزيد عن ١٤ ٪ خلال خمس سنوات، وهو ما لم تستطع خمس سنوات قبلها أن تحقق نصفه؟!

الله يا النائب لو تفعلها .. ولكن: «زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا .. أبشر بطول سلامة يا مربع»!

■■

# في الاجتماع السابع لمجلس الاتحاد العام لنقابات العمال

# النقابيون متمسكون بمطالبهم والحكومة تبرر سياساتها

◄ متابعة وإعداد: علي نمر

**عقد الاتحاد العام اجتماع مجلسه العام السابع بحضور رئيس مجلس الوزراء والنائب الاقتصادي وعدد من الوزراء، حيث افتتح رئيس الاتحاد العام المجلس بالإشارة إلى العلاقات المتميزة السائدة الآن بين النقابات والحكومة، والتوافق بينهما في العديد من القضايا، ولم ينس رئيس الاتحاد التنويه والإشارة إلى أهمية القانون (١٧) بالنسبة لعمال القطاع الخاص كونه جاء على الكثير من المطالب والحقوق التي كانت تنادي وتطالب بها النقابات، وتأكيداً على ذلك جرى توزيع كراس على أعضاء المجلس يتضمن تلك المزايا التي حصل عليها العمال، وكذلك الواجبات والمحظورات التي على العمال إتباعها(!!)، ولكن قيادة الاتحاد أغفلت ذكر المخاطر التي سيتعرض لها العمال جراء تطبيق هذا القانون، وخاصة المادة (٦٥) والمادة (٢٧٧)، ولو تم ذلك فإن نقاشاً حامي الوطيس كان سيدور في هذا الاجتماع وبحضور الحكومة.**

**واستكمالاً لـ«شفافية» الحكومة المفرطة في طرح خططها وأرقامها وإحصائياتها، جرى استبعاد الإعلاميين المتواجدين في اجتماع المجلس في جلسته المسائية، بطلب خاص من النائب الدردري، وذلك حفاظاً على سرية الأرقام التي سيطرحها هذا الاجتماع، وهذا الإجراء مناف للتقاليد النقابية التي تسمح بحضور الإعلاميين، وتغطية كل ما يجري داخل الاجتماع.**

**«قاسيون» كانت حاضرة، وسنقدم فيما يلي استعراضاً لأهم المداخلات والطروحات التي شهدها الاجتماع.**

## مداخلة نزار العلي:

## من أجل رب عمل و تاجر يُنفى آلاف العمال من الحياة الاقتصادية والاجتماعية

في البداية أسجل اعتراضي وتحفظي على تأخر جلسات المجلس العام، فليس من المعقول أن يأتي مجلسنا بعد ستة أشهر ونيف من المجلس الماضي، مع العلم أن هناك تطورات اقتصادية وعمالية هامة، وكان آخرها القانون /١٧/ لعام ٢٠١٠، الناظم لعمل العمال ولعلاقات العمل في القطاع الخاص، والذي لم يناقش في المجلس بصورته النهائية، ولنا اعتراض على المادة /٦٥/ منه التي تعتبر أساس وجوهر القانون، والتي تنص على التسريح التعسفي للعامل، وهنا نؤكد على وجود تباين بين رؤية القواعد النقابية وبين القيادة النقابية التي تتغنى بالقانون، فقد كان حرياً بالمكتب التنفيذي دعوة المجلس العام لمناقشة بنود القانون، ووضع رؤية الاتحاد العام وتقديمها عبر القنوات الرسمية، ومن هنا أيضاً أسجل تحفظي على أسلوب المكتب التنفيذي بسبب مركزيته في اتخاذ القرارات فيما يتعلق بمثل هذه القوانين المصيرية التي تؤثر على حياة الطبقة العاملة.

إن إقرار المادة /٦٥/ من القانون في مجلس الشعب، والذي يضم في ثناياه /٥١٪/ من ممثلي العمال والفلاحين يضعنا أمام إشارات استفهام كبيرة عن دورهم في الدفاع عن مصالح العمال والفلاحين، وباقي فئات الشعب، وأما وزارة العمل والسيدة الوزيرة فقد بدا واضحاً أنها تعمل بشكل منحاز لأرباب العمل، وإذا كانت الوزيرة تدعي أن القانون بهذا الشكل هو لخدمة الاستثمار وتشجيعه، نقول لها إن القانون /٩١/ لعام ١٩٥٩ والمرسوم /٤٩/ لم يكونا يوماً من الأيام عائقاً أمام الآلاف من الورش الصناعية والمصانع وأربابها، بل حقق من خلالهما أرباب العمل نجاحات اقتصادية وأرباحاً طائلة، وكان جديراً بالسيدة الوزيرة أن تقف مع مصالح أكثر من ثلاثة ملايين عامل وتدافع عن حقوقهم، وأن تدفع بأرباب العمل لتنفيذ القانون /٩١/ لعام ١٩٥٩ وتسجيل العمال بالتأمينات، ومنحهم ترفيعاتهم الدورية وغيره، وأن تفرض على أرباب العمل تسديد ما عليهم من التزامات ضريبية لمصلحة خزينة الدولة. ولا أدري كيف يفكر المعنيون بالسياسات الاقتصادية السورية، فمن أجل رب عمل أو تاجر يتم نفي وإعدام آلاف العمال والمواطنين من الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فمثلاً وزارة النقل أخذت قراراً بالاتفاق مع بعض المحافظين بإيقاف السرافيس العاملة على خطوط النقل الداخلي بالمدن، ومنح متعهد حق استيراد باصات وتشغيلها على هذه الخطوط وحرمان المواطنين من لقمة عيشهم، فالمواطن بمدينة حمص مثلاً يعاني أسوأ ظروف حياته عند انتقاله داخل المدينة، وخاصة العمال في الفترة الصباحية إذ يتأخرون عن دوامهم بسبب تباطؤ هذه الباصات وتوقفاتها الكثيرة، والازدحام الشديد، وأما عن المناظر اللاأخلاقية فحدث ولا حرج، والسؤال: هل المعنيون بوضع السياسة الاقتصادية والاجتماعية لبلدنا يريدون أن يكفر المواطن بوطنه؟ فلم تنته مأساة توزيع الدعم حتى بدأت مأساة النقل الداخلي والحبل على الجرار.

أما في مجال القطاع العام الصناعي، فمازال هذا القطاع يعاني من المماطلة في إصلاح وتطوير شركاته، بالتزامن مع التحرير المتسرع للتجارة الخارجية، وفتح الباب لإغراق الأسواق من البضاعة النسيجية العالمية بمنتجاتها الرخيصة السيئة الصنع، واليوم هناك /٢٧/ شركة لصناعة الغزل والنسيج منها /٨/ شركات رابحة و/١٣/ حدية و/٦/ خاسرة، ويوجد /٤٨/ منشأة لصناعة الألبسة في جميع المحافظات تقدمت بطلبات للإغلاق بسبب خسائرها الفادحة، وعدم قدرتها على المنافسة بسبب الاستيراد والإغراق.

وفي تقرير لغرفة صناعة دمشق أشير إلى انخفاض عائدات الصناعات النسيجية /١٠٠٪/ خلال الربع الأول من هذا العام، وانخفاض العمالة بنسبة /٧٤٪/، وهذا يتطابق مع العديد من الصناعات الآيلة للإغلاق مثل صناعة السيراميك وصناعة الأحذية.



وفي مجال السياحة كانت سورية في عام ٢٠٠٩ في المرتبة /٦٣/ عالمياً في مساهمة السياحة بالمدفوعات العامة للدولة حسب الإحصائيات الرسمية، وتقدمت ست مرات وأصبحت في المرتبة /٥٧/، والتقارير الصادرة عن المجلس الدولي للسياحة وصندوق البنك الدولي وجهات أخرى، كتقرير بنك عودة، أكدت أن السياحة والإنفاق القوي للسياح في سورية قد أفلت السياحة السورية من الأزمة المالية العالمية، والسؤال هل وضع المشرفون على السياحة في بلدنا في حسبانهم التركيز على صناعة السياحة كإحدى الموارد الرئيسية لخزينة الدولة في مجال أمانة الشؤون الاقتصادية؟!

■■

## مداخلة نزار ديب:

## يجب أن يكون للمجلس رأي موحد تجاه القضايا الهامة والمصيرية

انتهت المؤتمرات النقابية مؤكدة على قضايا هامة، وهي المحافظة على القطاع العام وتطويره، تثبيت العاملين المؤقتين، تحقيق الضمان الصحي وطبيعة العمل، إلغاء ضريبة الإنفاق الاستهلاكي، تحسين المستوى المعيشي، إيجاد جبهات عمل للشركات الإنشائية، الحد من ظاهرة البطالة، تعديل قانون العمل، تقييم الخطة الخمسية العاشرة، وتطوير الخطاب النقابي...

مطالب كثيرة تتكرر من عام إلى عام، ونظراً للأهمية الكبيرة لما يطرح فإن الأهم هو الحفاظ على المكاسب التي حققتها الطبقة العاملة، ولكن كما يبدو الآن اختلفت موازين القوى، وخرج قانون العمل الجديد رقم /١٧/ بصيغته الجديدة، والتي تحفَّظ الاتحاد العام على بعض بنوده في البداية، والغريب بالأمر عند مناقشة ومداولة تعديل القانون في مجلس الشعب كانت أغلبية مداخلات أعضاء المجلس ضد المواد السيئة بالقانون، والتي تضر بمصالح الطبقة العاملة، والتي تشكل عودة للوراء، خاصة المادة /٦٥/ الناظمة لعملية التسريح، وعند التصويت صوت الجميع مع هذا القانون باستثناء أصوات قليلة لبعض أحزاب الجبهة، علماً أن /٥١٪/ من ممثلي مجلس الشعب من العمال والفلاحين.

أعتقد أنه يجب أن يكون للمجلس رأي موحد تجاه أي موضوع هام ومصيري، وهذا الموقف يعلن بموافقته أو عدم موافقته تجاه الكثير من القضايا الاجتماعية.

إن حاجة البلاد لاستثمارات كبيرة وكثيرة يجب ألا تدفعنا للتنازل أمام نوعيتها وطبيعتها إذا أتت من الخارج، بحيث تفرض علينا التطور اللاحق الذي إذا استمر سيزيد اقتصادنا تشوهاً، وتطيح بالدور الاجتماعي للاقتصاد المعلن عنه، وتفتح البلاد أمام الاستثمارات الخاصة والأجنبية، وتحرر الأسعار والتجارة الداخلية والخارجية، وتطرح الشركات للخصخصة بتسميات مختلفة، وآخرها شركة الكهرباء.

إن ما يثير الريبة هو أن موضوع خصخصة الكهرباء طرح من زاوية معينة في بادئ الأمر، وهي نقله وليس إنتاجه، والآن أصبح الحديث عن دخول القطاع الخاص وغير السوري.

إن البنية التحتية (كهرباء، طرق، مواصلات ومرافئ خطوط حديدية) تعود ملكيتها للدولة في أكثر دول العالم، وهذا أمر طبيعي ومنطقي.

وإن سيطرة القطاع الخاص على البنية التحتية يؤثر سلباً ويتحول إلى أداة ضغط وابتزاز ضد سورية، وضد المواقف التي لا تروق الغرب، ومن لف لفه من المستثمرين العرب والأجانب، وإن الطاقة مكون أساسي من مكونات الأمن الوطني ويجب عدم السماح بتجاوزه لأنه خط أحمر.

وإذا أردنا أن نقوي الجانب الوطني والموقف الوطني، يجب أن نقوي الجانب الاجتماعي لدى القطاعين العام والخاص، وهذا يتطلب أولويات في الاستثمار في القطاعات الإنتاجية والصناعية والزراعية وتحقيق الأمن الغذائي، وما التردي الواضح في الحالة المعيشية والتي تظهر نتائجه في البطالة والفقر وازدياد الجريمة والدعارة إلا تدميراً منهجياً لفعاليات الإنتاج الحقيقية والقوى البشرية وجعلها عرضة للهجرة المؤقتة والدائمة، مما ترك قطاعات الإنتاج مجردة من الخبرات، ليأتي تتويجاً لهذا التردي موضوع خصخصة التعليم ليقضي على آخر أمل في التطور والتقدم.

أؤكد على ما جاء بالتقرير المقدم من المكتب التنفيذي لهذا المجلس، خاصة فيما يتعلق بمسألة الأجور والأسعار، بعد أن اعترفت الحكومة بأن الحد الحقيقي لمستوى المعيشة للأسرة الواحدة هو /٢٥٠٠٠ ل.س/، مما يفتح المشكلة أمام حقيقتها،



وإذا تذكرنا أن الحد الأدنى للأجور رسمياً /٦٠٠٠/ ل.س، فالمطلوب حالياً زيادة الرواتب والأجور لأنها ضرورة وطنية، ويجب تحريك الأجور وفق تسلسل ارتفاع الأسعار المستمر، والحفاظ على القدرة الشرائية للمواطن السوري.

والمطلوب أيضاً وضع سياسة اقتصادية بديلة غير منحازة إلى الطبقات الغنية، وأن تشرك جميع فئات المجتمع في التنمية الحقيقية، ولن يتم هذا إلا عبر إزالة كل الآثار السلبية للسياسة الاقتصادية الليبرالية في كل المجالات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية.

■■

---

**بصراحة**

## تخوفات مشروعه حول تعديل قانون التأمينات الاجتماعية!!

■ ع. ياسين

بدأ النقاش في الأوساط النقابية المختلفة حول تعديل قانون التأمينات الاجتماعية الحالي رقم /٩٢/ لعام ١٩٥٩ بتساؤلات كثيرة طرحها النقابيون والمهتمون بالشأن العمالي عن حجم التعديلات التي ستطرأ على قانون التأمينات، هل ستنتقص من حقوق الطبقة العاملة التأمينة الحالية أم ستحافظ عليها؟! هل مقترحات المنظمات الدولية التي طرحت في فترة سابقة، والتي تشير إلى تخفيض في نسب الاشتراكات التأمينية، والمعاش التقاعدي، وسنوات الخدمة التي يستحق العامل على أساسها المعاش التقاعدي... إلخ هي الأساس في التعديل القادم؟

كل المؤشرات والتصريحات التي أدلى بها أصحاب الشأن في التعديلات القادمة، أن التعديلات ستأخذ بعين الاعتبار اعتراضات أرباب العمل والمستثمرين على قانون التأمينات الحالي لأن ذاك القانون كان مجحفاً بحقهم، ويرتب عليهم أعباء وتكاليف لا تتناسب مع دورهم المعول عليه في إنقاذ الاقتصاد السوري من أزمته! وفي حل أزمة البطالة التي استعصت على الحل! وبالتالي فإن تعديل قانون التأمينات لابد أن يراعي مصالح الاستثمار القادم، حتى لو جاء على حساب مصالح ملايين من العمال السوريين وأسرهم. وما المشكلة في ذلك طالما أن المستثمرين سيضخون ويستثمرون أموالهم؟ بالمقابل لابد للعمال من أن يضحوا بحقوقهم ومصالحهم، وأن يقبلوا بما قسمه الله لهم من حقوق وبذلك يكون أجرهم على الله!

إن التخوفات التي أبداها النقابيون في اجتماع مجلس الاتحاد العام الأخير حول التعديلات المنتظرة على قانون التأمينات مشروعة ولم تأت من فراغ، بل استندت إلى التجربة القاسية لسنوات عدة مع الحكومة، أثناء نقاش مواد القانون الجديد الذي تم أقراره رغم الملاحظات والاعتراضات الكثيرة التي تقدمت بها النقابات والعديد من أعضاء مجلس الشعب على الكثير من مواده التي جعلت حقوق العمال مرهونة بقرارات أرباب العمل، على الرغم من الامتيازات التي يقوم الاتحاد العام لنقابات العمال الآن بأوسع دعاية لها كما جاء في الكراس الذي وزع على أعضاء مجلس الاتحاد العام، وقد أراد الاتحاد من توزيع هذا الكراس وبهذا الشكل أن يؤكد على الرسالة الموجهة إلى كل المعترضين على الكثير من مواد القانون، بأن هذا القانون أصبح أمراً واقعاً لا مناص من القبول به والتعامل معه باعتباره قفزة نوعيه في عالم التشريع العمالي يحقق التوازن بين من يملك ومن لا يملك، وبهذا تتحقق العدالة الحكومية وتنتصر لحقوق العمال وتؤمن على مصالحهم؟!

إن نتائج تطبيق القانون الجديد لم تظهر بعد، وآلية تطبيقه لم تتضح أيضاً، وهذا يعتمد على التعليمات التنفيذية التي ستصدرها وزيرة العمل، والجدية التي سيطبق بها القانون، خاصة وأن هنالك شكوكاً كبيرة في استجابة أرباب العمل في تسجيل العمال بالتأمينات الاجتماعية بأجورهم الحقيقية، وتطبيق الزيادات الدورية والطارئة، والضمان الصحي، والإجازات وغيرها.

فالعبرة إذاً ليست في مواد القانون وما حوته من امتيازات فقط، بل العبرة في التطبيق لأن تجربة قانون العمل /٩١/ مازالت ماثلة، وهو يحتوي على الكثير من الامتيازات والحقوق، ولكن أرباب العمل كانت لديهم الوسائل والإمكانيات الكافية للتهرب من حقوق العمال وواجباتهم تجاهها، ويجدون المخارج التي تؤمن مصالحهم وتغيِّب مصالح العمال التي اقرها القانون والأعراف المعمول بها، والسبب بذلك تواطؤ وزارة العمل مع أرباب العمل وضعف النقابات وقدرتها على الدفاع عن حقوق العمال بكل الوسائل المتاحة بما فيها حق العمال بالإضراب الذي تتكره النقابات على العمال وتجعله من المحرمات التي لا يجوز الاقتراب منها، ويعود ذلك إلى ضيق الهامش المسموح للنقابات التحرك في إطاره، وبهذا تكون النقابات قد فقدت أحد أهم عناصر قوتها التي كانت تتمتع بها لعقود سابقة.

لقد كان على النقابات أن تنتظر قليلاً قبل التطبيل والتزمير لهذا القانون، لأن هذا سيوقعها مستقبلاً بمأزق مع عمال القطاع الخاص، وسيؤثر على مصداقيتها وصوابية رأيها وموقفها، ولكن يبدو أن الحركة النقابية في موقفها هذا من القانون كمن يبلع الموس على الحدين.

وبناء على ما تقدم فإن تخوفات الكوادر النقابية المطروحة من مشروع تعديل قانون التأمينات الجديد المزمع طرحه، ثبتت صحتها، خاصة وأن تصريحات المسؤولين والعديد من النقابيين القياديين حول التعديل بأنه سيكون مكملاً لقانون العمل الجديد ومتوافقاً مع السياسات الحكومية الاقتصادية في التطوير والتحديث، والكل يعلم ويلمس نتائج تلك السياسات، وماذا كانت نتائجها على حياة شعبنا واقتصادنا.

إن اللعب بقانون التأمينات الاجتماعية خط أحمر يجب مواجهته بحزم وجرأة، وبهذا تقع المسؤولية على القوى الوطنية كافة وفي مقدمتها الحركة النقابية، وذلك بالتحضير والحشد الجدي بما يكفي من القوى داخل مجلس الشعب وخارجه، وبالاستفادة من التجربة التي مرت مع إقرار قانون العمل الجديد، وبهذا تحقيق لمصلحة الطبقة العاملة وكرامتها.

■■

# مستوى المعيشة... غلاء الأسعار... حقوق العمال



**• مداخلة عزت الكنج نائب رئيس الاتحاد العام:**

تناول نائب رئيس الاتحاد العام موضوع الخطة الخمسية الحادية عشرة، بعد أن شارفت على الانتهاء، فأكد على ضرورة أن تتضمن الخطة الجديدة تحقيق قضايا البعد الاجتماعي لاقتصاد السوق الذي حدد كهوية للاقتصاد الوطني في المؤتمر القطري العاشر للحزب، على اعتبار أن التنظيم النقابي يرى أن البعد الاجتماعي والقوانين المتعلقة بهذا الجانب لم يتم تحقيقها خلال الخطة الخمسية العاشرة، وطالب الكنج بضرورة أن تلحظ الخطة الخمسية الحادية عشرة زيادة حجم الاستثمارات في القطاع العام، في ظل وجود شركات لديها مشاريع مدروسة من حيث الجدوى الاقتصادية وبحاجة إلى تمويل، وفيما يخص استثمار المرافئ طالب نائب رئيس الاتحاد خلال مداخلته بضرورة تنفيذ بنود هذه العقود والتزام أطراف العقد بها . وأشار الكنج إلى التقصير الواضح من مجالس الإدارات في متابعة عمل الإدارات، بدليل أن الجهات الوصائية تقف موقف المتفرج دون أن تحرك ساكناً، وشدد على ضرورة تقييم عمل هذه الإدارات من الجهات الوصائية في المحافظات، والوقوف على نتائج عملها سواء فيما يتعلق بوضع الخطة الإنتاجية أو العلاقة مع العمال، وتحديث الشركات ومحاربة الفساد المستشري الذي تم التأكيد على محاربته أكثر من مرة.

**• مداخلة جمال القادري رئيس اتحاد عمال دمشق:**

تناول القادري مسألة عدم التناسب الواضح بين الأجور والأسعار، والتسيب والفلتان في الأسواق لجهة التسعير، وطالب القادري بضرورة إجراء دراسة علمية موضوعية للحد من ظاهرة التفاوت بين الأجور والأسعار، وإيجاد آلية للتقريب بينهما من خلال تحسين الدخل الحقيقي مع ضرورة وجود آليات تدخلية لعقلنة السوق والأسعار، وتعزيز دور المؤسسات العامة في التدخل الايجابي، مثل الاستهلاكية ومؤسسة الخزن والتبريد عبر دعمها ومؤازرتها لامتلاكها أسطولا كبيرا في كافة المحافظات، وأكثر من ٥٠٠٠ موظف، إلا أن مردودها لا يزال دون المطلوب لأسباب موضوعية وذاتية، ونوه القادري إلى ضرورة مراقبة صارمة للسوق بعد إغراقها بالمواد الفاسدة في الفترة الأخيرة وخاصة الأجبان والألبان.

**• مداخلة جاسم التامر اتحاد عمال الحسكة:**

طرح في المداخلة واقع سكان محافظة الحسكة وخاصة جنوبها حتى مسافة ١٢٠ كم، وما تعانيه من ضعف في المواسم الزراعية وخاصة زراعة القمح ، وتوقف نهر الخابور، والجفاف الحاصل وما نجم عن ذلك من هجرة العائلات المستمرة من هذه المنطقة والآثار الاجتماعية المترتبة على ذلك، وتفشي ظاهرة الأمية بين أبناء هذه العائلات نتيجة تركهم مقاعد الدراسة، وأكد جاسم أن المعونات المقدمة من اللجنة الوزارية لا تكفي، فضلا عن تدخل العديد من الجهات في توزيع هذه المعونة بدءاً من المختار وانتهاء بأمين الشعبة، وبالتالي عدم وصولها بالشكل المطلوب، كما أن دراسة كل حالة على حدة. وطالب جاسم بضرورة إعادة النظر بالشبكة الطرقية بين الحسكة ودير الزور التي تحصد سنوياً عشرات الموتى نتيجة الحوادث.

**• مداخلة حسن السفان اتحاد عمال الرقة:**

تناول المداخل واقع الزراعة في المحافظة، ومشاريع استصلاح الأراضي، وخاصة المشاريع التي كلفت دراستها أموالا طائلة، دون توفير الاعتمادات اللازمة لتنفيذها ، وأهمية دورها في تحقيق الأمن الغذائي، وكذلك المشكلات التي بات يعاني منها هذا القطاع نتيجة رفع الدعم عن المحروقات وتحرير أسعار السماد .

وطالب السفان وزارة الزراعة بالتدخل من اجل الحفاظ على القطاع الزراعي، واعتماد مشاريع جديدة تعتمد أساليب الري الحديث، وتساءل السفان عن موعد البدء في مشروع جر المياه من نهر دجلة، وشدد على ضرورة التعامل بجدية مع مسألة استمرار هجرة الأطباء السوريين إلى دول الخليج والبحث في أسبابها ، ووضع الضوابط المناسبة للحد منها ، وطالب بإيجاد حل سريع لقضية الـ٧٠٠ عامل الذين نقلوا من مؤسسة التنمية إلى مؤسسة الاستصلاح دون قوننة أوضاعهم.

**• مداخلة علي ريا اتحاد عمال اللاذقية:**

سأل ريا في بداية المداخلة عن مدى انعكاس الخطة الخمسية العاشرة على الوضع المعاشي للناس، رغم زيادة الأجر الذي لم ينعكس على متطلبات الحياة، وأشار ريا إلى ظاهرة السلع الرخيصة المستوردة من الخارج، والتي أغرقت السوق، والانعكاس الواضح لهذه المشكلة على الصناعة الوطنية، وطالب بأن تأخذ أهداف الخطة الخمسية الحادية عشرة كل الجوانب بعين الاعتبار، وخاصة الجانب الاجتماعي المتعلق بمعيشة المواطن.

وعبر ريا عن خشيته من التعديلات الجارية على بعض القوانين مثل قانون الكهرباء والاتصالات وقانون التأمينات الاجتماعية، مبدياً خوفه من أن تكون هذه التعديلات، وخاصة قانون الكهرباء مقدمة لخصخصته رغم التأكيدات المستمرة بعدم الخصخصة، كما أعرب عن خشيته بأن تشكل تعديلات قانون التأمينات تقاعداً قسرياً لا إرادياً، لأنه سيدفع الكثير للتقاعد للاستفادة من ميزات القانون القديم نتيجة النسب الموضوعة في القانون الجديد .

**• مداخلة عيسى الناعم رئيس الاتحاد المهني للنفط والصناعات الكيماوية:**

تطرق الناعم في مداخلته إلى واقع مصنع السماد الآزوتي ومعاناته من تراكم المخازين نتيجة عدم استجرار المصرف الزراعي السماد من الشركة، بينما يتم استيراد الأسمدة من الدول المجاورة، وشدد الناعم على ضرورة إيجاد دراسة اقتصادية شاملة تحدد الحاجة الفعلية للقطر من الأسمدة، على الرغم من تشكيل ثلاث لجان لدراسة الكلفة في معمل السماد، إلا انها لم تتوصل إلى تحديد الكلفة الحقيقية. ورأى الناعم أن استيراد المواد الأولية في القطاع العام يشكل جرحاً نازفاً لهذا القطاع، فعلى سبيل المثال عقد الكبريت الذي بلغت فيه قيمة الطن الواحد ١٤٠ يورو بينما يتم استيراده في تونس بـ٥٢ دولار للطن، وأبدى الناعم استغرابه من تقديم ١١ عرضاً ٨ أو ٩ منها قدمت من متعهد واحد، وشدد على ضرورة تأمين هذه المادة من الحكومة حصراً .

**• مداخلة بلسم ناصر اتحاد عمال دمشق:**

هذه المداخلة طرحت موضوع الأجور والأسعار فأكدت أن هناك ربطاً في كل العالم بين الأجور والأسعار، وطالبت بأن يكون التنظيم النقابي طرفاً في المفاوضات مع الحكومة لرفع الحد الأدنى للأجور وزيادتها كي تتناسب مع الوضع المعيشي، مع فرض آليات عملية لضبط الأسعار في السوق، لأن الحد الأدنى للأجور المعمول به لا يكفي لإعانة أسرة عدد أفرادها خمسة أشخاص.

كما طالبت ناصر بضرورة منح العاملين حقوقهم كالوجبة والحوافز وتثبيت العمال المؤقتين بموجب مرسوم على غرار المرسوم رقم ٨ لعام ٢٠٠١ ، وتوجيه الوزارات لتسريع التعاقد على الضمان الصحي، والعمل على وضع سياسة زراعية يساهم فيها رأس المال مع الخبرة والمعرفة لدعم هذا القطاع الحيوي القادر على إيجاد فرص كبيرة لتشغيل اليد العاملة، كما تساءلت ناصر في ختام مداخلتها النارية: ماذا بعد أن أغلقت الحكومة الشركات بحجة أنها خاسرة؟ وما هي الحلول والاقتراحات لإصلاحها؟ .

**• ابراهيم عبيدو رئيس الاتحاد المهني لعمال الصناعات الغذائية:**

أكد في مداخلته على جملة من المطالب :

- منع وإيقاف إدخال المواد الغذائية مثل المياه والبيرة والكونسروة، إلا بعد التأكد من مطابقتها للمواصفات القياسية السورية، والتأكد من سلامتها الصحية، وعدم انتحالها أسماء المنتجات السورية.
- إصدار الملاك العددي لشركة المياه والوحدات التابعة لها .
- تشميل العاملين بلجنة المخابز الاحتياطية بالمظلة التأمينية.
- طاقة عمل شركة سكر دير الزور ١٠٠ يوم في العام، إلا أنها لم تعمل بسبب عدم تأمين كمية الشوندر اللازمة للتصنيع، علماً بأن نسبة درجة الحلاوة العالمية تصل إلى ٢٢ درجة، بينما لم تتجاوز في العام الماضي ١٣-١٤ درجة، مما أوقع شركة السكر بخسائر كبيرة .
- موضوع الكساء العمالي المحصور في شركة تصنيع الألبسة الجاهزة، ولاسيما تعميم مجلس الوزراء رقم ١٥/٧١٣٦ في ٢٠٠٩/١١/١٠ الذي اقترح استجراره من مؤسسات القطاع العام كافة (سندس-المؤسسة الاستهلاكية-المؤسسة الاجتماعية العسكرية بالإضافة إلى وسيم ) لتردي نوعية القماش والألبسة المصنعة.
- الحوافز الانتاجية متوقفة منذ عام ٢٠٠٨ لجميع العاملين في المراكز الزراعية والمشاتل ودوائر الحراج والتنمية الزراعية، وقد وعدنا من على هذا المنبر غير مرة بتخصيص مكافآت للعمال، ولكننا لم نجد لا مكافآت ولا غيرها، علماً بأن المبالغ تخصص ولا تصرف للعمال.

**• عمر الحلو رئيس الاتحاد المهني للغزل والنسيج:**

استعرض في مداخلته واقع قطاع الغزل والنسيج عن الفترة من ٢٠١٠/١/١ ولغاية ٢٠١٠/٣/٣١، حيث بين الحلو أن قيمة الإنتاج الجاهز للبيع بلغت لغاية ٢٠١٠/٣/٣١ حوالي ٥ مليار و٢٠٠ مليون ليرة سورية، وبمعدل تنفيذ ٨٣٪ من المخطط، ويعود هذا الانخفاض إلى نقص عمال الإنتاج المباشر،أما المبيعات الإجمالية فقد بلغت قيمتها ٥ مليارات و ٧٠٠ مليون ليرة سورية.

وأكد الحلو أن قطاع الغزل والنسيج من القطاعات الهامة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وهذا القطاع بحاجة إلى عمالة شابة وقادرة على العطاء للعمل على الآلات، حيث هناك نقص عمال إنتاج مباشر على الآلات حوالي ١٣٠٠ عامل، وهذا النقص يؤثر على العملية الإنتاجية، مع العلم انه يوجد لدى قطاع الغزل والنسيج عمال مرضى وعجزة يبلغ عددهم حوالي ١٠٠٠ عامل، ولا يمكن الاستفادة منهم في الأعمال الإنتاجية مع ذلك يتم الضغط عليهم والاستفادة منهم بالأعمال المساعدة غير الإنتاجية.

ففي الاجتماع الذي عقد في وزارة الصناعة بحضور السيد عبد الله الدردري نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية الذي قال أن قطاع الغزل والنسيج مازال خاسراً رغم ما قدمته الحكومة لهذا القطاع، وبقي هذا القطاع خاسراً، وأنه إذا ربح قطاع الغزل سيخسر قطاع آخر، وبالعكس، وأبدى عدم رضاه عن أداء هذا القطاع خلال الفترة الماضية.

وأضاف الحلو: في الحقيقة يبدو أن الحكومة لا تريد الإقلاع بقطاع الغزل والنسيج، فخلال الخطة الخمسية العاشرة تم تخطيط استبدال وتجديد هذا القطاع بقيمة ١٤ مليون و ٤٠٠ مليون ليرة سورية، وعند مناقشة الخطط السنوية مع الحكومة تعطى المؤسسة خلال الخطة الخمسية مبلغ ٣,٥ مليار ليرة، وهذا الرقم لا يمثل إلا ٢٠٪ من الخطة، وإذا تم توزيع هذا المبلغ على خمس سنوات يكون مبلغ الاستثمار السنوي ٧٠٠ مليون ليرة، وإذا تم تقسيم هذا المبلغ على الشركات التابعة للمؤسسة النسيجية والبالغ عددها ٢٧ شركة، فإن حصة الشركة من التحديث والاستبدال يكون ٢٦ مليون ليرة سورية سنوياً، فهل هذا الرقم يكفي للاستبدال والتجديد والإقلاع بهذه الصناعة؟

**• احمد الديري رئيس اتحاد عمال درعا:**

تساءل في مداخلته عن بعض القضايا المتصلة بقانون العمل الجديد، وفي مقدمتها مدى قدرة الجهات الوصائية تنفيذ قانون العمل، وإجبار أرباب العمل على الالتزام بالقانون؟!! ومن الذي سيقوم بالأشراف على تطبيق القانون إذا كان عدد المفتشين قليلاً بل قليلاً جداً؟! وإذا كانت مديرية التأمينات الاجتماعية بدرعا على سبيل المثال لا تملك أية سيارة خدمة للقيام بجولات على منشآت القطاع الخاص!

■■

## فلاشات من المجلس

- أصر النائب الاقتصادي على خروج الإعلاميين من القاعة قبل أن يشرع في الحديث في الجلسة المسائية، مدركاً أن بيته الزجاجي الحاضن لأرقامه الخيالية ووعوده الخلبية لن يصمد أمام هجمات الإعلام الوطني.
- رئيس الحكومة ووزير الزراعة لم يسمعا بقرار أصدراه.. وعجباً من حكومة تنسى اليوم ما أصدرته أمس.
- النائب الاقتصادي حسد السوريين على أكل الرز عند مقارنتهم بالشعب الهندي الذي يأكل نصف الكمية!!
- اتهم رئيس الحكومة النقابيين بالأمية والجهل عندما وبخهم بقوله: «مو كل واحد يقرى كلمتين من المواقع الالكترونية، ومن المواقع المعادية بيجي يطرحها هون».
- ثلثا أعضاء المجلس أصيبوا بخيبة الأمل بعد سماعهم حديث الدردري ووعوده الطوباوية.
- تحدث /٢٧/ من أعضاء المجلس لمدة تقارب ثلاث ساعات، بينما تحدث النائب أكثر من ساعة ونصف، ليقنع النقابيين بخطته الحادية عشرة، وللأسف لم يفلح بذلك!

## مداخلة جوزيف موصللي
## علينا أن نبكي على عمال القطاع الخاص!!

إن معملي الألبان والبسكويت التابعين لشركة الشرق للمنتجات الغذائية تم توقيفهما عن العمل بناء على قرار السيد وزير الصناعة اعتباراً من ٢٠١٠/١/١، وقد طلبت الوزارة إيقاف العمل بالمعملين واعتبرتهما خاسرين دون النظر إلى أسباب الخسارة بالشكل الفعلي، ما عاد سلباً على العاملين في المعملين وعلى المواطنين. علماً أن المعملين من المعامل العريقة والمؤسسة منذ أكثر من خمسين عاماً، وهما من المعامل الرائدة في حلب، لا بل في القطر، جودةً وكماً، وكان يرفد إنتاجه لسكان حلب وضواحيها .

إن عدد عمال معمل البسكويت يبلغ /١٢٠/ عاملاً وعاملة، ولا يوجد عمل لهؤلاء العمال، وخاصةً بعد أن توقف معمل الألبان عن العمل، ونقل عماله إلى معملي البيرة والبسكويت.

ولو أن المعملين خاسران وغير قادرين على تحقيق الأرباح لما وجدنا تسارع العشرات من المستثمرين يتسابقون لاستثمارهما، فكان الأجدر بوزارة الصناعة بدلاً من أن توقف نشاط معمل الألبان، وهو أهم مصدر غذائي لأطفال مدينة حلب وريفها وضواحيها، مقدم مجاناً من منظمة اليونيسيف لأطفال سورية، كان الأجدر بها تأمين مادة الحليب الخام بشتى الوسائل.

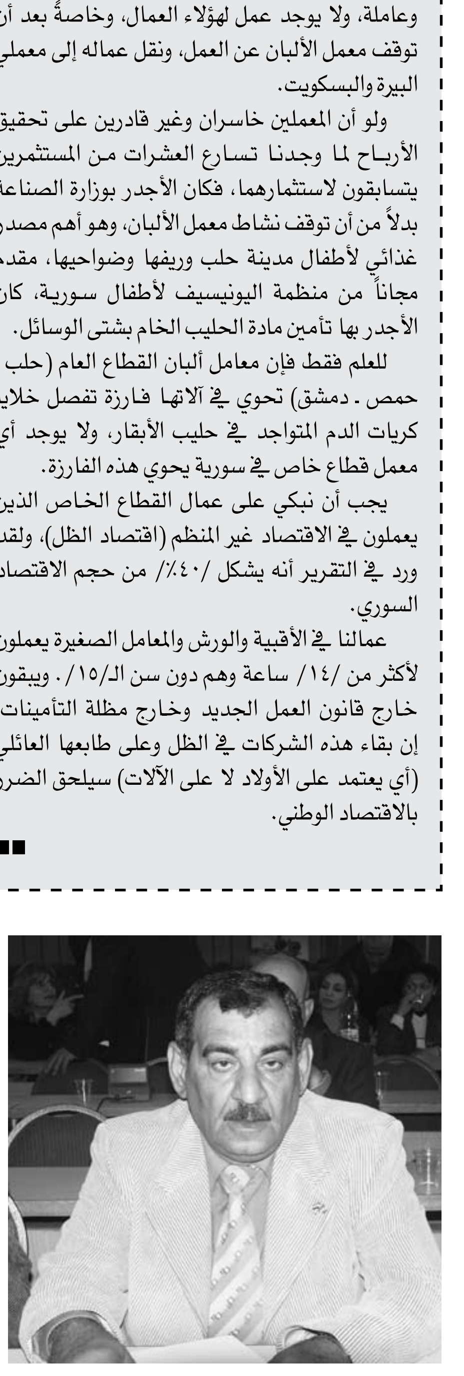
للعلم فقط فإن معامل ألبان القطاع العام (حلب . حمص . دمشق) تحوي في آلاتها فارزة تفصل خلايا كريات الدم المتواجد في حليب الأبقار، ولا يوجد أي معمل قطاع خاص في سورية يحوي هذه الفارزة.

يجب أن نبكي على عمال القطاع الخاص الذين يعملون في الاقتصاد غير المنظم (اقتصاد الظل)، ولقد ورد في التقرير أنه يشكل /٤٠٪/ من حجم الاقتصاد السوري.

عمالنا في الأقبية والورش والمعامل الصغيرة يعملون لأكثر من /١٤/ ساعة وهم دون سن الـ/١٥/ . ويبقون خارج قانون العمل الجديد وخارج مظلة التأمينات، إن بقاء هذه الشركات في الظل وعلى طابعها العائلي (أي يعتمد على الأولاد لا على الآلات) سيلحق الضرر بالاقتصاد الوطني.

■■

## مداخلة مصطفى الهزاع:
## حكومتنا ماضية في اقتصاد مجهول الهوية قتل فينا حتى الوطنية!!



تتساقط منشآت القطاع العام منشأة عقب منشأة، والحكومة تتحدث عن إصلاح القطاع العام منذ عام ٢٠٠١، وشكلت اللجنة /٣٥/ ولجاناً عديدة، ولكن هذه اللجان ماتت قبل أن تقوم بعملها .

ينعقد مجلس الاتحاد العام بعد تأخر طويل، والقطاع العام الاقتصادي في تآكل في ظل نظام اقتصاد السوق، مع العلم أن النهج العالمي يدعو إلى تدخل الدولة لحماية ودعم المنشآت الاقتصادية للوقوف في وجه الأزمة العالمية، وحكومتنا ماضية في اقتصاد مجهول الهوية قتل فينا حتى الوطنية، وزرع آفات اجتماعية نتيجة البطالة المتزايدة.

فوجئنا من السيد وزير الصناعة بتوقيف العمل الفني المتخصص للعاملين الحاصلين على شهادة مساعدين فنيين، وحملة المعاهد الصناعية والثانويات الفنية المعينين ما بعد عام ١٩٨٦ ، كما أوقف وزير الصناعة التعويض الفني المتخصص منذ عام ٢٠٠٦ بعد منحة /٦/ أشهر بحجة أنه ممنوع لحملة الشهادات المعينين ما قبل عام ١٩٦٩ ، علماً أن هذا يناقض تعميم رئيس مجلس الوزراء رقم /٢٠/م/و، والقانون /٥٠/، وتعميم وزير الصناعة بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٤ .

وحول المادة /١٣٧/ من القانون /٥٠/ والتي أصبحت الوزارات المختصة تستخدمها سيفاً لتصفية العمال، نطالب بإيقاف هذه المادة وتعطيلها ، حيث أصبح للحكومة حق صرف العمال من الخدمة دون الرجوع إلى اللجنة الثلاثية. وكذلك نطالب بإيقاف المادة /٦٥/ من قانون العمل /١٧/ التي أجازت لرب العمل أحقية صرف العامل من الخدمة مع التعويض، ولو حصل على حكم قضائي يعيده للعمل.

■■

## شيوعيو دير الزور
# يحيون ذكرى الجلاء المجيد، والأول من أيار

على أطراف دير الزور وبين أشجار النخيل الباسقة جدد شيوعيو دير الزور إرواء سنديانتهم الحمراء التي ستبقى شامخة بشموخ الجلاء، والمروية بعرق العمال ودماء الشهداء، مؤكدين استمرارهم في النضال على الدرب الذي بدأه الرفاق القدماء. ففي صباح الجمعة ٣٠ نيسان جمع الشيوعيون احتفالهم بمناسبتين عزيزتين من تاريخ الحركة الوطنية والعمالية: عيد كل الأعياد، عيد الجلاء، وعيد العمال العالمي. وتقاطروا وأصدقاءهم من كلّ أنحاء المحافظة، كبارهم وصغارهم ونساؤهم وعائلاتهم، وصدحت في الأجواء الأغاني الوطنية والتقدمية، ورفرفت الرايات الحمراء وأعلام الوطن فوق أشجار النخيل مؤكدة أنها لن تنكس في سماء سورية.

بدأ الاحتفال بالوقوف دقيقة صمت مع النشيد الوطني تكريماً لشهداء الوطن والحركة العمالية السورية والعالمية، ثمّ ألقى أمين اللّجنة المنطقية الرفيق ناجي العكيلي كلمةً عن عيد العمال استعرض فيها تاريخ الحركة العمالية السورية ونضالاتها ومواقفها الوطنية والطبقية، وما تتعرض له حالياً من هجوم على حقوقها ومكاسبها وتراجع دورها بعد تبني الحكومة سياسة اقتصاد السوق ونوه إلى قانون العمل الأخير وخاصةً التسريح التعسفي وتطرق إلى التهديدات التي تواجهها سورية، ووجوب مقاومتها بتقوية الوضع الداخلي، وأكد على ضرورة استرجاع دور الدولة في حماية الجماهير من جشع الرأسماليين الجدد.

وألقى الرفيق زهير مشعان عضو مجلس اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين كلمة جاء فيها بعد التأكيد على أهمية اكتشاف مملكة ماري: «... دمشق هي أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ، وهي التي لم تستسلم ولاتزال تمانع وتقاوم مشاريع الهيمنة الامبريالية الأمريكية- الصهيونية وهذا مبعث افتخار لنا جميعاً....

سورية من أوائل الدول التي نالت استقلالها عن المستعمر بفضل مقاومة الشعب وقواه الوطنية التي بدأها يوسف العظمة وتبعتها ثورات إبراهيم هنانو وصالح العلي وسلطان باشا الأطرش وغيرهم الكثيرون، ومنها ثورات أبناء الفرات، العنابزة والبوخابور وإحراقهم ١٤ طائرة في مطار دير الزور، وكان لأهاليها وأبناء المنطقة ومنهم المجاهد رمضان شلاش بطولات أجبرت المستعمر على الانسحاب، وهذا أيضاً مبعث افتخار....

وكان لحزبنا الشيوعي السوري الدور الأساس من بين القوى الوطنية في مقاومة الاحتلال، حتى سمي بحقّ (حزب الجلاء)... هذا الإرث الحضاري والبشري نفخر به، ونستحضره في هذه المناسبة دعوة لإحياء بطولات الماضي، ولتقوية الحاضر المقاوم، للانتقال نحو المستقبل الذي ننشده كمواطنين وكشيوعيين في تحقيق كرامة الوطن والمواطن، وخاصةً مع انفتاح الأفق أمام الحركة الثورية العالمية وانغلاقه أمام الرأسمالية بعد أزمتها الأخيرة... وكما تحقق الجلاء بالمقاومة فإن تحرير الجولان سيكون بالمقاومة، وهذا يتطلب إطلاق المقاومة الشعبية بتعبئة قوى المجتمع واعتبار الأمن الاجتماعي الاقتصادي أساس الأمن الوطني، لذا علينا مواجهة قوى النهب والفساد التي نمت وتوسعت بسبب السياسات الليبرالية الاقتصادية وقواها التي تنهب المجتمع والدولة... إنّ هذا أيضاً يتطلب تعزيز الوحدة الوطنية، وأولها وحدة الشيوعيين السوريين التي أصبحت ضرورة موضوعية...

واليوم نحتفل أيضاً بعيد العمال العالمي ونحيي ذكرى استشهاد عمال شيكاغو كرمز للطبقة العاملة التي لا تملك إلا قوة عملها ومن هنا يكون لها الدور الأساس في القضاء على البرجوازية وبناء الاشتراكية وهذا منطق وحتمية التاريخ.. والطبقة العاملة السورية كان لها دور فعال في النضالات الوطنية والطبقية وحققت انجازات كبيرة في العقود الماضية إلى جانب فلاحي الوطن وسائر كادحيه ومثقفيه الثوريين والقوى الوطنية والتقدمية، وتجري اليوم تراجعاتٌ كبيرة وتهديدٌ للكثير من مكاسبها وحقوقها بسبب السياسة الليبرالية الاقتصادية ومنها: قانون العمل الجديد الذي ينتصر لأرباب العمل على حساب العمال.. وخاصة التسريح التعسفي، ووقف الشيوعيون والعديد من القوى والشخصيات النقابية والوطنية ضد هذا القانون إلى جانب الطبقة العاملة وقيادتها اتحاد العمال... ورغم إقراره إلاّ أن المطلوب اليوم تشديد النضال لتعديله.... نوجه التحية لكل أبناء الوطن وللطبقة العاملة وسائر الكادحين وللقوى الوطنية والتقدمية الشريفة.. نوجه التحية والدعوة لأن نمشي معاً ونكفي الطريق...

المجد للجلاء وقادته وشهدائه.. المجد للعمال وسائر الكادحين الشرفاء في الوطن.. المجد للمقاومة والمقاومين من ميسلون إلى جبل الشيخ إلى فلسطين والعراق ولبنان وإلى شعوب الشرق العظيم وشعوب العالم وعمالها المناهضين للتحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي...»

كما تحدث الرفيق مهيار والرفيقة سهام عن الشباب ونضالاتهم وعن النساء ودورهن. وألقيت مجموعة من القصائد للرفيق الشاعر الشعبي فاضل حسون (أبو سلام) وتضمن الاحتفال مجموعة كبيرة من النشاطات الفنية، وانتهى بالحيوية والروح والمعنويات العالية نفسها التي بدأ بها.

**دير الزور/ مراسل قاسيون**

## خصخصة للجمعية الفلاحية في موحسن
# جمعية مدعومة ذات طابع عشائري..!؟

**تمتاز مدينة موحسن بتاريخها الوطني في نضالها ضد الاستعمار الفرنسي، والطبقي في نضالها ضد الإقطاع، وبوعي أبنائها وفكرهم المتحضر، لكن التغيرات الاجتماعية الرأسمالية الليبرالية الجديدة، والتراجع عن المكتسبات الاقتصادية الاجتماعية، أعاد إنتاج كثير من الأفكار والعلاقات العشائرية على مستوى الوطن وخاصةً المنطقة الشرقية، وسبق أن ذكرنا في العدد ٣٥٠ تاريخ ٢٠٠٨/٤/٥ أنه أحدثت جمعية فلاحية ثانية في موحسن بدعم من بعض الليبراليين في قيادة الاتحاد العام للفلاحين بدمشق، وتعاون البعض في دير الزور، وسميت جمعية حاوي موحسن (موقع الهنيدي) ونوهنا إلى أنّ ذلك مخالف للتنظيم الفلاحي الذي لا يسمح بوجود جمعيتين في مكان واحد، ونوهنا إلى ضرورة ضمها إلى جمعية موحسن وأن ذلك سيكون له انعكاسات اجتماعية مستقبلاً، وخاصةً أنه لا يُسمح لفلاحي موحسن الأساسيين الانضمام إليها، وكأنها قطاع خاص ولفئة معينة**

اليومَ أثبتت التطورات صحة ذلك، إذ جرى تغيير اسم الجمعية بطريقة فيها من التزوير الشيء الكثير، لتسمى باسم ذي طابع عشائري (الشعيطية) نسبةً إلى عشيرة الشعيطات، ومن تلك الأخطاء والتزويرات:

- تزوير وتغيير تاريخ محضر الاجتماع، وأعطي تاريخاً سابقاً لموعده، وحتى هذا التزوير جاء مشوهاً وخاطئاً حيث كتب في يوم السبت ٢٠١٠/٣/٥، وهو يصادف يوم الجمعة.
- ذكر محضر الهيئة العامة للجمعية أنه اجتمع ٤٥ عضواً من أصل ٦٢ بينما ورد في خلاصة التعديل الأساسي لعقد التأسيس المسجل في الاتحاد العام للفلاحين برقم ٦٣٥٩ تاريخ ٢٠٠٦/٨/١٣، بأنه في يوم السبت الموافق ٢٠١٠/٣/٥ حضر اجتماع الهيئة ٣٨ عضواً من أصل ٥١ وسجل التعديل في الاتحاد العام للفلاحين برقم ٢٥٠ تاريخ ٢٠١٠/٣/١٧، وموقع من رئيس مكتب التنظيم والتأسيس، وهذا تناقض في تسجيل التاريخ وعدد الحضور والأعضاء!
- ضمت قائمة الحضور تواقيع ١٣ اسماً مقيمين خارج القطر، ولم يكونوا من الحضور، وتوقيع ٢٨ اسماً ليس لديهم ملكية عقارات في حاوي موحسن موطن الجمعية!

وفي لقاء مع محافظ دير الزور في آخر زيارة له، وفي ندوة جماهيرية، طُرح الموضوع واستغّرب المحافظُ عدم السماح لفلاحي موحسن من الانتساب للجمعية، ووعد بحل القضية، كما زار وفد من الفلاحين وبعض المعنيين في المحافظة أمينَ فرع حزب البعث بدير الزور، وجرى طرح القضية وانعكاساتها الاجتماعية السيئة، وخاصةً تعزيز التعصب العشائري الذي يشكل بؤرة توتر.. ووعد بحل القضية.

وهنا تساءل وفد الفلاحين: طالما أن الجميع يعرف أن الجمعية مخالفة لكل المعايير، ما هي الفعالية التي تسير هذه الجمعية المحدثة، بما يتناقض مع التنظيم الفلاحي ومصلحة الفلاحين ومصلحة المجتمع ككل؟! ولماذا يجري السكوت عن ذلك بل وتشجيعها؟ ويستغربون غياب دور الفعاليات السياسية والجهات التنفيذية والمنظمات الشعبية، وتناقُض ذلك مع القانون والدستور الذي يساوي بين جميع المواطنين، وأنّ الانتماء للوطن أولاً وأخيراً، وهذا ما يحقق كرامة الوطن والمواطن التي هي فوق كلّ اعتبار.

**مراسل قاسيون / موحسن**

## أعجب العجب في جامعة حلب..
# ثقافة الكرات والأقدام.. على حساب الفن!



أصبحنا لا نستغرب كثيراً عندما تؤول الأمور إلى غير أهلها في قطاعات الحياة اليومية المختلفة، ولكن عندما تؤول الأمور إلى غير أهلها في أهم مؤسسة علمية وثقافية ألا وهي الجامعة، فإن العجب لا يكفي بل يستدعي ذلك دموع الأسف على ما وصلت إليه الحالة الثقافية والاجتماعية.

مجموعة من الشباب الموهوب كلفوا أنفسهم بالمساهمة في تنشيط الحراك الثقافي والفني والاجتماعي، وشكلوا فرقة مسرحية أسموها غودو ((goDot رمز الانتصار. وقرروا المساهمة بمسرحية جادة وراقية على حساب وقتهم ودراستهم ومصروفهم الضئيل الذي يتقاضونه من أهاليهم بشق الأنفس، لتكون مسرحية (المتوقع) باكورة أعمالهم.

ولكونهم طلبة جامعيين فقد رأوا أن أنسب مكان للعب هذا الدور هو اللجوء إلى جامعة حلب ولبعض المسؤولين الطلابيين فيها للاستفادة من الإمكانيات الموجودة. فماذا كانت النتيجة؟

قدموا نص المسرحية إلى المكتب الإداري (مكتب النشاطات) فلم يحصلوا على الموافقة على النص إلا بعد شهرين، ولم يتم ذلك إلا بعد أن قام أعضاء فرقة غودو بالإلحاح والسؤال اليومي عن الموافقة.

احتاروا في البحث عن مكان لإجراء التدريبات على المسرحية، ولم يأبه بمساعدتهم أحد رغم وجود الإمكانيات لدى الجامعة والمسؤولين الطلابيين، فما كان منهم سوى إجراء التدريبات خلسة في إحدى القاعات المهملة بعد توسلات شديدة للمستخدمين ليغضوا الطرف عنهم، فتبدأ معاناتهم بهذا الآذن الذي يطردهم لتعكر مزاجه وذاك المستخدم الذي يقطب حاجبيه مفتياً لهم أن المسرح حرام وعليهم أن ينتبهوا لدروسهم.

رغم ذلك، وبحماس الشباب الذي لا يمل ولا يكل استمروا في تدريباتهم وتحضيراتهم منتظرين رحمة المكتب الإداري بالموافقة على النص وبمنحهم مسرح الباسل لعدة ساعات ليقدموا عرضاً وحيداً.

وافق أخيراً المكتب الإداري على عرض واحد للمسرحية على أنه سيعطيهم مسرح الباسل لمدة ساعتين ونصف فقط وعليهم أن يتدبروا كل أمورهم بأنفسهم (الديكور، الإضاءة، الصوت، الإعلان) وعلى نفقتهم الخاصة، وخلال هذه المدة حصراً.

علقوا إعلاناتهم قبل ساعات من موعد العرض. ودُهش الجميع بكثافة الحضور فرغم أن لم يكن لديهم متسع من الوقت لإخبار حتى أصدقاؤهم فقد فوجئ الجميع بامتلاء المسرح بمئات الطلبة المتعطشين لثقافة جادة ومحترمة، الأمر الذي أنسى الجميع كل تعبهم الذين بذلوه خلال شهرين.

بدأ العرض وتألقت الفرقة نصاً وتمثيلاً وإخراجاً، وتصاعد تصفيق الجمهور لهذا العرض الرائع، وما أن مضت ساعة من العرض المتميز، والمسرحية لم تنته بعد حتى تقدم بعض المسؤولين الإداريين طالبين من مدير الفرقة إنهاء العرض وإفراغ المسرح من الجمهور لأنه هنالك مباراة للدوري الانكليزي سوف تعرض في مسرح الباسل!!

حاول مدير الفرقة بشتى الوسائل إقناع المتدخلين بأن ذلك مستحيل، وأن الفرقة ملتزمة بالمدة المحددة، وستفرغ المسرح في الوقت المتفق عليه، وقبل بداية المباراة المقدسة، إلا أن جهوده قد باءت بالفشل. وفوجئت الفرقة والجمهور بتجمّع عدد من الطلبة الذين حضروا لمشاهدة المباراة أمام باب المسرح الجانبي قرب المنصة، وهتافهم بأصوات عالية وبشكل متواصل بهتافات كروية قاصدين التغطية على أصوات الممثلين. وتم لهم ذلك حيث لم يعد بإمكان الممثلين إسماع أصواتهم إلى بعضهم البعض، ناهيك عن إسماع أصواتهم إلى الجمهور. الأمر الذي حدا بمدير الفرقة إلى أن يصعد إلى المنصة معتذراً من الجمهور عن عدم إكمال الربع ساعة الأخير من المسرحية ليتقدم بعد ذلك أعضاء الفرقة مجتمعين لتحية الجمهور الذي ضج بتصفيق حار ومتواصل لفترة طويلة.

إننا بدورنا نحيي أعضاء الفرقة فرداً فرداً ومديرها، ونحيي الجمهور الواعي المثقف الذي تفهم صعوبات العمل الثقافي والفني عندما يتحكم غير المؤهلين بالحراك الثقافي، وإننا نسأل المسؤولين الطلابيين في جامعة حلب، وجميع المعنيين فيها: هل وجد مسرح الباسل في جامعة حلب لتنشيط الحراك الثقافي أم لعرض مباريات الدوري الانكليزي؟ وهل مباراة الدوري الانكليزي أهم من المسرح؟ وهل القائمون على هذه النشاطات من البعض بعد الذي رأيناه منهم يستحقون الموقع الذي يشغلونه؟ أسئلة برسم أولي الأمر.

**حلب- زياد الحمود**

# احتفال الشيوعيين السوريين في القامشلي بعيد العمال



**بدعوة من الشيوعيين السوريين في محافظة الحسكة، أقيم في مدينة القامشلي احتفال حاشد بمناسبة الأول من أيار عيد العمال العالمي حضره حشد كبير من الشيوعيين وأصدقائهم وبعض ممثلي القوى الوطنية.**

قدمت للحفل كل من الرفيقة أم سما قائلة: صباح الخير أيتها الوجوه الطيبة، صباح الخير يا بلاد الحب والكفاح والأغنيات، صباح شقائق النعمان التي تلون البراري، صباح الخير أيها الحمام الذي ينثر الهديل في حواري دمشق القديمة، وينشد أغاني السلام على روح يوسف العظمة، صباح الخير أيها الجبل الأشم حيث يربض سلطان باشا الأطرش، صباح الخير أيتها الأمواج العنيدة على شواطىء اللاذقية، وأنت تحيين الشيخ صالح العلي، صباح الخير يا أشجار الزيتون المتدلية على جبال عفرين وأدلب، وأنت تلقين تحية الصباح على إبراهيم هنانو صباح الخير يا جزيرتي الطيبة يا توءم الخبز، ودجلة والفرات والخابور، صباح الخير يا عامودا وأنت ما زلت ترفعين راية سعيد آغا الدقوري راية الوطن. صباح الخير يا جنوب الرد، جنوب الأحزان، وجنوب القرى المهجورة، صباح الخير يا بلاد الحب والكفاح والأغنيات

ثم تحدث الرفيق وليد حسني، وبعد أن وجه التحية الى المحتفلين أعلن بدء الحفل بالنشيد الوطني، وألقى الرفيق نزيه عمرو كلمة اتحاد الشباب الديمقراطي وحيا من خلالها العمال بعيدهم وثمّن دور الحزب في النضال النقابي، وطالب بحل عدد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهامة.

كلمة الشيوعيين السوريين في محافظة الحسكة ألقاها الرفيق مجدل دوكو، الذي تحدث عن مواقف الشيوعيين من الأوضاع السياسية الراهنة وعن الوضع الداخلي وطالب بحل عدد من المشكلات السياسية والاقتصادية.

وجاء في كلمته: « ...إن إقرار قانون العمل بصيغتة الجديدة هو ضد مصالح العمال ولمصلحة أرباب العمل، وتعكس نتائج الخطة الخمسية العاشرة الفشل الكلي للنهج الليبرالي في الاقتصاد ولم يستطع تحقيق أهدافه المعلنة بتحسين الوضع المعيشي للمواطنين وتخفيف الفقر والبطالة بل على العكس اتسعت دائرة الفقر والبطالة والهجرة... وما أعلنه النائب الاقتصادي عبدالله الدردري أمام مجلس الشعب مؤخرا بأن \٧٥\ بالمئة من الشعب السوري يعيش على خط الفقر دليل واضح على فشل السياسة الاقتصادية المتبعة... ويتراجع يوما بعد يوم دور الدولة الاجتماعي ويزداد ويتعمق الفرز الطبقي خدمة للمخططات الأمريكية الصهيونية البعيدة...»

تضمن الاحتفال عدداً من قصائد الرفيق أبو سلام وبعض المقاطع الفنية للرفيق حسن الخضر حيّا من خلالها المقاومة، والقيم التي يحملها الشيوعيون. ثم قدمت الفنانة المتألقة كولا كردي باقة من الأغاني الفلكلورية التي تفاعل معها الحضور، وعقدت حلقات الدبكة التي شارك فيها مئات الشباب والصبايا، واختتم الاحتفال بأجواء كرنفالية رائعة والرفاق مصرون على السير على طريق الماركسية اللينينية وتوحيد جميع الشيوعيين السوريين في حزب واحد يقوم بالدور المطلوب منه في حياة الوطن والشعب.

■■

## مؤسسة مياه مشتى الحلو بين الهدر والإهمال

تتربع قرية «بقرعوني» في ريف طرطوس على هضبة خضراء غاية في الجمال والروعة فوق نبع «الشير» الذي يغذي الأراضي والأشجار المثمرة في وادي الكفرون، وهي قرية صغيرة تابعة لبلدية مشتى الحلو.

في القرية هناك خزان مياه تابع لمؤسسة مياه مشتى الحلو يتموضع في أعالي هضبة القرية، ومنذ أكثر من أربعة أشهر والمياه تتدفق منه ليل نهار بشكل غزير ودائم ودون حسيب أو رقيب بسبب عطل في «فواشة» الخزان، التي لم تستطع مؤسسة مياه مشتى الحلو شراء غيرها أو إصلاحها .. هذا ما أفادنا به المواطنون في القرية، وقد ذهب مراسل قاسيون إلى الموقع الطبيعي وشاهد الخزان والمياه تتدفق منه بغزارة، وتذهب سدى، ولا داعي للتذكير هنا أن المياه ثروة وطنية لا تقدر بثمن والبلاد بأشد الحاجة إليها.

وقد أكد لنا المواطنون أنهم قد راجعوا مؤسسة مياه مشتى الحلو مرات متعددة, لكن لا حياة لمن تنادي.. فهل ينصت المسؤولون اليوم، ويبادرون لحل المشكلة، وقد وصلت أخبار الخزان إلى الصحافة؟.

**مراسل قاسيون**

## حدث في اجتماع المجلس العام لاتحاد نقابات العمال..

# رئيس الحكومة ووزير الزراعة لم يسمعا بقرار كف يد فلاحي المالكية!!

**شهدت الجلسة الصباحية لاجتماع المجلس العام لاتحاد نقابات العمال المنعقد في دمشق يوم الأحد ٢٠١٠/٥/٢ بحضور رئيس الحكومة ونائبه وعدد من الوزراء، مفاجأة مدهشة من النوع الذي لا يحصل إلا في العلاقة بين المواطنين السوريين والحكومة السورية وطاقمها الاقتصادي ..**



المفاجأة حدثت حين قدمت النقابية بلسم ناصر مداخلتها وطرحت في سياقها سؤالاً هاماً وجهته لوزير الزراعة، عن أسباب كف يد فلاحي عدد من قرى المالكية عن مزاولة زراعة أراضيهم وحقولهم، فما كان من الوزير عادل سفر إلا أن أجاب بيقين وإصرار: «لم أسمع بهكذا قرار.. ما في شي من هذا النوع، لا كف يد، ولا إنهاء، ولا منع من الزراعة».. مبيناً أنه لا توجد تعاميم من هذا القبيل.. وهذا ما أكده أيضاً رئيس الوزراء ناجي العطري الذي طلب من بلسم ذكر أسماء القرى التي طال فلاحيها الكف.. مشيراً إلى أن هذا الموضوع خطير جداً، وكان يجب على النقابية التروي قبل طرحه بهذا الشكل!!

والسؤال: إذا كان رئيس الحكومة والوزير المختص لا علاقة لهما بالقرار المذكور، ولم يسمعا به من قبل، فمن الذي اتخذه وأعطى الأوامر في تنفيذه إذاً؟؟؟

وكانت وزارة الزراعة وقد أصدرت بتاريخ ٢٠١٠/٣/١٧ القرار رقم ٢٧٠٧ص المعمم على مديريات الزراعة، والذي يتضمن من جملة ما يتضمن (يطلب إليكم شطب أسماء الفلاحين من محاضر أجور المثل وعقود الإيجار في المناطق العقارية التابعة لكم وذلك لعدم حصولهم على التراخيص القانونية وفق أحكام القانون رقم /٤١/ لعام ٢٠٠٤ وتعديلاته استناداً للتعليمات الوزارية).. وبناء عليه نشرت في مصلحة الزراعة بالمالكية جداول بأسماء الفلاحين الذين سيتم كفّ يدهم عن الأرض، ولاحقاً في عدد آخر من المصالح الزراعية في المحافظة، وقد نجم عن محاولة تنفيذ القرار معارضة شديدة واستياء عام بين الفلاحين، خصوصاً وأنهم بريئو الذمة المالية، ومعظمهم يزرع الأراضي المذكورة منذ عشرات السنين مستوفياً كل ذممها.

يذكر أن الجلسة الصباحية تمت بحضور القيادة النقابية ورئيس الحكومة المهندس ناجي عطري، ونائبه الاقتصادي عبدالله الدردري، وكل من وزراء الصناعة، والشؤون الاجتماعية والعمل، والنقل، والزراعة، والإسكان..

### فليعلم الوزير ورئيس الحكومة

وفي الرد على وزير الزراعة نبين مايلي:

أولاً: نلفت عناية الوزير، ورئيس الوزراء إلى أن الموضوع أثير في الصحافة الوطنية، ومن المفروض أن اثنين من أعمدة السلطة التنفيذية في البلاد أو على الأقل المكاتب الصحفية لهما كانا على علم بنشر هذا الموضوع, فلماذا لم يبادر أحد منهما إلى نفيه, بعد أن أثار بلبلة وضجة وتفسيرات وتأويلات مختلفة في محافظة الحسكة؟

فقد نشرت جريدة النور التي يصدرها الحزب الشيوعي السوري في عددها رقم٤٣٢ تاريخ ٢٠١٠\٤\٢١ ما يلي:

(طلبت وزارة الزراعة إلى مديرياتها شطب أسماء الفلاحين الذين لم يرخص لهم من محاضر أجور المثل وعقود الإيجار.. إن رفض منح الترخيص لمستثمري أراضي أملاك الدولة سينتج عنه إلغاء عقود المستثمرين ونزع يد المستأجرين وحرمان عدد كبير من الفلاحين من أراضيهم المؤجرة لهم منذ سنين طويلة....)

ونشرت صحيفة قاسيون في العدد ٤٤٨ ما يلي: (تفاجأ المئات من الفلاحين في قرى منطقة المالكية المتاخمة للحدود العراقية في محافظة الحسكة بوضع جديد يتعلق بالأراضي العائدة لهم والتي يستثمرونها أباً عن جد، بموجب قرار صادر عن وزارة الزراعة يقضي بكف يد حوالي ٣٨٠ فلاحاً في قرى عديدة، عن الاستفادة من أرضهم بحجج واهية....)

- ونشرت صحيفة صوت الشعب لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري في عددها رقم ٢٣٥ تاريخ ٢٠١٠\٤\٢٨ ما يلي:

( ....ومؤخرا صدر قرار من مدير زراعة الحسكة يحمل الرقم ٢٨٤٠\ص تاريخ ٢٠١٠\٤\٢٢ بناء على تعليمات وزارة الزراعة والذين تضمن قوائم بشطب أسماء أكثر من \٤٠٠\ مواطن من فلاحي أجور المثل وعقود الإيجار من محافظة الحسكة....).

- نشرت صحيفة البعث الناطقة بلسان حزب البعث العربي الاشتراكي في عددها رقم١٣٩٢٩ يوم الثلاثاء ٢٧نيسان ٢٠١٠ في ملف خاص عن أراضي أملاك الدولة ما يلي:( .... ثمة المئات من عقود الإيجار، يجري الحديث عن إلغائها بعد مضي عشرات السنين من عمر تنظيمها ....)

- نشرت جريدة النور في عددها رقم٤٣١ تاريخ ٢٠١٠\٤\١٤ مايلي: (( .......إذ قامت مديرية الزراعة بالحسكة بإرسال كتب إلى دوائر الزراعة في المدن طالبة منها شطب أسماء الفلاحين من محاضر أجور المثل وعقود الإيجار بالمناطق العقارية التابعة لها وحسب الجداول المرفقة والمسجلة في سجلاتها، بذريعة عدم حصولهم على الترخيص القانوني وفقاً لأحكام القانون ٤١٢٠٠٤ وتعديلاته، واستناداً إلى تعليمات وزارة الزراعة. وجاءت التعليمات شديدة اللهجة تطلب تثبيت واقعة الإلغاء في السجلات.((

- ونشرت بعض المواقع الالكترونية إن قرار مديرية الزراعة في الحسكة يستند على قرار صادر عن وزارة الزراعة يحمل الرقم ٢٧٠٧\ص تاريخ ٢٠١٠\٣\١٧

- ونشرت صحيفة قاسيون في عددها رقم ٤٥١ تاريخ ١ ايار ٢٠١٠ ما يلي ( .......أعقب نشر القرار ردود أفعال مختلفة, بين مستغرب ومستهجن ورافض، وذلك في الوسط الرسمي والشعبي والسياسي, وتزامن ذلك مع معلومات متناقضة فهناك من يقول إن هذا الموسم هو الأخير للفلاحين في استثمار الأرض، وهناك من يقول إن القرار سيجمد وآخرون يقولون إن قوائم اسمية أخرى على الطريق وتشمل بمجموعها ٦١ألف عائلة .... وبالترافق مع ذلك ثمة أسئلة تطرح من قبيل: لمن ستؤول الأرض في حال نزعها من الفلاحين؟ ولماذا لم يتم تثبيت ملكيتها أسوة بأوضاع مشابهة في محافظات أخرى ولاسيما وان أغلب هؤلاء الفلاحين يستثمرون الأرض منذ نهاية الستينيات؟ باختصار إن القرار أحدث بلبلة ولغطا ويعيش الفلاحون حالة من القلق والترقب...)

- بالإضافة إلى ذلك راجع العديد من المواطنين الجهات المسؤولة سواء المصالح الزراعية في المناطق، ودائرة أملاك الدولة، و محافظ الحسكة، وأمين فرع حزب البعث العربي الاشتراكي، ولم ينف أحد وجود قرار من هذا النوع.

ثانياً: إن جميع المصادر الصحفية آنفة الذكر تؤكد إن ما يجري في مصلحة زراعة المالكية إنما هو بناء على توجيهات وزارة الزراعة وبعد أخذ هذه الوقائع بعين الاعتبار والربط بينها وبين رد وزير الزراعة ورئيس الوزراء على النقابية بلسم ناصر، هناك أحد احتمالين: إما إن الوزير حقاً لم يصدر قرارا متعلقاً بالموضوع، وفي هذه الحالة من المنطقي أن يعلن ذلك أمام الرأي العام وبالإصرار واليقين نفسه الذي تحدث به في اجتماع اتحاد العمال، وبالتالي يطمئن الفلاحون وتنتهي كل التفسيرات الخطيرة للموضوع، ويفتح تحقيقاً في القضية لتوضيح كل ملابساتها، أو أن القرار صدر فعلاً ويحاول الوزير التملص منه بعد أن أحدث كل هذه الضجة والبلبلة.

نؤكد مرة أخرى أن الموضوع خطير حقاً، والأخطر منه أن ينشر القرار في الصحافة الرسمية وغير الرسمية دون أن يسمع به الوزير أو رئيس الوزراء، أو أن القرار موجود ويريد الوزير أن يمر بصمت دون ضجة، وذلك غير ممكن في ظل وجود صحافة وطنية، وقوى غيورة داخل جهاز الدولة وخارجه، لا يرضيها إصدار مثل هذه القرارات الخطيرة.

■■

## السيد وزير الصحة.. عاجل إن كنت مهتماً..

**تحاول شركة سيرياتيل أن تضع أبراج بث على المزيد من خزانات المياه في ما تبقى من قرى (غير مغطاة جيداً) في محافظة درعا.. مصطدمة في كثير من الأحيان مع أعداد متزايدة باطراد من الأهالي الواعين للخطورة المحتملة التي قد تكون كامنة في إجراء غير معروف النتائج كهذا.**

**ومن المعروف أن دائرة مياه درعا وافقت منذ فترة على التعاقد مع شركتي الخليوي لنصب أبراج البث على خزاناتها المتناثرة في المحافظة، متجاهلة احتمال أن يتسبب ذلك بأضرار على المياه وشاربيها..**

**وكمثال على المعارضة الشعبية لهذا الإجراء، تصدت لجنة التنمية في قرية بصير التابعة لمنطقة الصنمين للورشة التي حاولت زرع البرج في منتصف القرية، ومنعتهم من تنفيذ ذلك، وقدمت خيارات بديلة لمندوبي سيرياتل و(م. ت. ن) إن كان همهما تحسين وضع التغطية في القرية، لكن يبدو أن هناك إصراراً على وضع الأبراج في الأمكنة التي اختارها القائمون على الخليوي بغض النظر عن رأي الأهالي..**

**والآن يطالب أهالي قرية بصير المسؤولين كافة، وخاصة وزير الصحة بالتدخل من أجل إيجاد حلول أكثر صحية أثناء تحديد واختيار أماكن زرع الأبراج، ريثما يثبت بالدليل القاطع عدم إضرارها بحياة الناس..**

■■

# اللقمة الحلال!

**رغم الفساد الذي يشوب مجتمعاتنا، ورغم الانحلال الثقافي والاقتصادي والأخلاقي الذي بدأنا نغوص فيه، رغم كل ذلك، لا يزال لشرائح من المجتمع قواعد ومبادئ وأسس تحكمها، لا يتنازلون عنها قيد أنملة، يعتزون بها ويفاخرون، ويدعون إلى تطبيقها والتزامها، وهذه الأسس التي أذكر ربما تدعو البعض إلى الاستهزاء والسخرية.**



من ذلك ما يطلق عليه مجازاً بـ«اللقمة الحلال»!، وهذا يعني ببساطة أني: «لن أطعم أولادي وعيالي إلا من مال اكتسبته بطريق شرعية حلال».

هذا المبدأ ـ كما قدمت لحضراتكم ـ هو محط سخرية الموظفين الصغار، ومدار إنكار الموظفين المتوسطين، وجريمة فظيعة شنعاء بالنسبة للموظفين الكبار.

بل بالنسبة لهؤلاء «كل ما يدخل جيبي حلال، وإن لم يكن كذلك فدخوله جيبي يكسبه الحلال».. وصدقوني: هذا لم نعد نراه غريباً، لا بل لم يعد أحد يكتب فيه ولا ينكره، فلكل الحق في الفكر والنظر والكسب بأية طريقة شاء ودون رقابة رقيب ولا نظر حسيب.

وهو ليس نقطة بحثي، بل كغيري اعتادته عيوني وآذاني، خلا أن نقطة البحث اليوم، كيف صار البعض يرى «اللقمة الحلال»؟ وإليك البيان:

أوقف شرطي صديقاً لي، وطلب الأوراق.. هم بتحرير المخالفة.. بادر صديقي بلغة طيبة وابتسامة رقيقة، ثم أتبعها بطلب الرحمة.. وشرطينا مصمم على المضي فيما عزم عليه، وطبعاً بعد الارتفاع المحلي بأسعار المخالفات ـ والتي ستدخل قريباً في البورصة السورية ـ كان لابد لصاحبنا من تفادي تلك المخالفة، فأظهر للشرطي ورقة من فئة الـ/٥٠٠/ ليرة، فما كان من الأخير إلا أن ثارت ثائرته، فأزبد وأرغد وأرعد، ففهم صاحبنا منه أخيراً أنه لا يأكل الحرام! فارتد إلى سيارته واستسلم لقضاء الشرطي مكبراً فيه عزته ومبدأه.

إلا أن الشرطي ارتد وراءه راجعاً، يقول: يا سيدي! تربينا على «اللقمة الحلال»، ونريد أن نربي أبناءنا على «اللقمة الحلال»، وزاد وأعاد ...

يقول صاحبنا في نفسه ليتني ما عرضت عليه، لقد لقنني درساً في الأخلاق، لن أنساه ما حييت! غير أن الشرطي أنهى حديثه بما يلي: يا سيدي! إن كان هذا المال قد جادت به نفسك زكياً... لكن لا بهذه الفصحى قال، بل قال: «خيو إذا هالـ/٥٠٠/ طالعة من نفسك» فأني سأعتبرها «لقمة حلال»، وخطفها سريعاً من يد صاحبنا، وصاحبنا مدهوش مصعوق، لم يدر كيف يمضي بسيارته وقد اختلطت لديه المفاهيم، بل انقلبت الساعة الرملية دون أن تنقلب، فالرمال تصعد من أسفل إلى عل!

والشرائح التّي ابتدأت بها مقالتي، وهي البقية الباقية من الخير والصلاح، بدأت تتقلص، لا بالعدد ولكن بالفهم!

كلام لا أقصد منه التشاؤم والتقريع، بل أضع إبرة الفرجار فاتحاً الزاوية إلى أقصى حد لها، عازماً على العودة بالدائرة إلى النقطة التي بدأت منها، فالفهم السليم لابد أن يبقى سليماً، و«اللقمة الحلال» لن يتغير طعمها مهما بهروها.

واللقمة في فيكم سادتي! آمل أن تكون «لقمة حلال» و«صحتين على قلب الشرطي» يقول صاحبي..

**محمد عصام زغلول**

## السعوديون يحتفلون بعيد الجلاء.. و(سيرياتل) و(MTN) تطنّشان!

لم يكن يوماً المشترك الوطني بالنسبة لشركتي الخلوي إلا حلقة للجباية ومورداً للأرباح الطائلة، تستذكره شركته برسائلها المملة عند صدور كل فاتورة جديدة فقط، لتذكره بمأساة لا يريد استذكارها، دون أن تفرح قلبه بخصم من هنا أو عروض مجانية أو مخفضة من هناك، في الوقت الذي تفتح فيه شركات الاتصالات الخلوية عربياً وعالمياً الباب على مصراعيه لإطلاق العروض «التخفيضات» بمناسبة ودون مناسبة أحياناً، حرصاً على عملائهم، وخوفاً من لجوئهم لشركات أخرى، لكن يبدو أننا نفتقد للحلقة الأساسية المحفزة لاتباع سياسة مشابهة، وهي المنافسة الجدية والحقيقية بين شركتي الاتصالات لدينا، اللتين تقتسمان كعكة السوق الدسمة بالتراضي دون إعطاء أية قيمة للجمهور الحالي من العملاء ولا حتى للمستهدف منهم مستقبلاً..!!

وقد يقول قائل إن هذه العقلية ليست بجديدة، فما الجديد؟

إن الذي دعانا للتذكير بهذا الواقع هو إحجام شركتي الاتصالات لدينا (سيرياتل، MTN) عن إطلاق أية عروض تخفيض حتى ولو كانت المناسبة عيد جلاء المستعمر الفرنسي عن أرضنا، الذي احتفلت به.. وللمفارقة فقط نذكّر بأن شركة الاتصالات السعودية مثلاً، شاركت عملاءها أفراحهم أينما كانوا وبأي وقت، عبر تخفيضها أجور المكالمات الصوتية، والمرئية، والرسائل القصيرة، ورسائل الوسائط المتعددة بنسبة ٥٠ بالمائة لعملاء الجوال بمناسبة اليوم الوطني للجمهورية العربية السورية، ولمدة ٢٤ ساعة. أما شركتا الخلوي في سورية فلم تصابا بالغيرة حتى، حيث اكتفت شركة سيرياتل بعرض « رفع العتب» «دقيقة عليك ودقيقة علينا » على المكالمات بين الخطوط الخلوية فقط دون الرسائل النصية أو الصوتية أو حتى المكالمات الهاتفية عبر الموبايل مع الخطوط الأرضية، بينما لم تسعَ MTN سورية لإطلاق أية عروض في هذه المناسبة، علماً أن الأرباح الصافية التي حققتها شركة «سيريتل» في العام ٢٠٠٩ تجاوزت ٧,٣ مليار ليرة، فيما بلغت الأرباح الصافية لشركة MTN حوالي ٣,٤ مليار ليرة..

إن هاتين الشركتين رغم أرباحهما الكبيرة المعلن عنها قبل أشهر فقط، ورغم العرض المستفز برأينا من شركة الاتصالات السعودية، لم تهتزا أو تتحركا لتقديم أية تخفيضات حتى ولو خجلاً أو غيرة من زميل لا يشكل عليها خطراً ولا ينافسها في أسواقها، لكنه كان أكثر حرصاً و كرماً على مشتركيه.

■■

## مطبات

## مواسم.. مواسم

◄ عبد الرزاق دياب

ليس كما كنت أظن، الثوابت لا يغيرها الزمن، وأن الوقت مجرد سيف لا يقطع سوى العمر والكاتو، وكنت أعتقد أن الريح لا تحمل سوى غبارها وحدها.. ربما تتكسر من هبوبها شجرة (كينا) معمرة، أو شجيرة مزروعة على عجل في موسم محافظاتنا الرشيدة بحملة لمكافحة التصحر.

كنت أعتقد أن المواسم مهما أدارتها لعبة الزمن ليست سوى مواسم، وأن الشتاء سيبقى موسماً للخير، والربيع لعودة الروح، والصيف للحب، والخريف استراحة بين موسمين.. كانت أكذوبة بعد أكذوبة، ولحظة افتتان سببها فيلم وأغنية وقبل على شفاه ناديا لطفي طبعها عبد الحليم حافظ في روحها أولاً.

كنت أعتقدها مكررة كلازمة أغنية للأطفال.. ألم نتلذذ كأطفال بترديد (زهرتي يا زهرتي)، أو نشيد في المرحلة الابتدائية يستيقظ فينا كلما قال لنا أحد في مشوار أو سهرة كلمة طفولة، هل سقطت (عمي منصور نجار) من دفتر مذكراتنا، ألم نغنّها حين كبرنا بمتعة أكبر، وقفزنا جماعات بحرية كما لو أننا عشنا مع (هايدي) متعتها في جبال الألب.. لكنها المواسم التي بقيت وصمة عمرنا، المواسم التي كنت أعتقدها مكررة.

على الأرض بعد أن سحبتني كالعادة اللغة المحلقة، على الأرض يستعير رجال الشرطة كما جاء في تحقيق محلي كاميرات محمولة لتصوير المسرعين والذين يقطعون الإشارات الحمراء، كذلك عادت سيارة الشرطة المتوقفة على جانب الطريق العريض بجهاز تصويرها القديم وعنصرها المتثائب، أما الكاميرات الألمانية التي هللنا لها، وكتبت فيها القصائد، وعقدت لها الندوات والمؤتمرات، وتعاقدت على جلبها لنا جهات أرادتنا متحضرين كباقي خلق الله.. الكاميرات الألمانية بلا كاميرات.

لم تكمل كاميراتنا الحول، لم تتعبها المواسم المتعاقبة، فقدت بسرعة غير متوقعة هيبة انتصارها على المتهورين، الكاميرات التي ارتعد من قدرتها سائقو النقل العام والخاص، سائقو الصيني والكوري ومجموع نمور آسيا التي أغرقت شوارعنا بماركاتها، سائقو الباص الأخضر الحكومي، الأزرق والأحمر الذي ينفث دخان الموت رغم تسميته بياسمين الشام، حتى الصفقات القادمة على المازوت والغاز والبنزين والتي ستساهم في حل مشاكل النقل ارتعدت من كاميراتنا قبل أن تصل... لكنها المواسم.. المواسم.

على الأرض تستمر المواسم هنا، استعرنا لها المهرجانات والمعارض، بديلاً عن الديمومة في مشاريعنا الكبرى، فمؤسسة السينما تستعير التظاهرات بدل الإنتاج، لا تنتهي تظاهرة حتى تليها أخرى، من الفيلم التسجيلي، الأوسكار، أفلام السينما الحديثة، أفلام عيد السينما، سينما الواقع BOX BOX... مواسم تتكرر كي لا يكون لنا أكثر من فيلم في العام، كي ننتظر على أحر من الجمر المشهد السنوي في افتتاح مهرجان دمشق السينمائي، فيلم الافتتاح لنا، الفيلم الفائز بالجائزة الكبرى لهم، الوجوه نفسها التي تسكن فندق الشام، الابتسامات ربما يغيرها الزمن بسبب التجاعيد الجديدة لوجوه نجمات السينما المصرية، صحيفة المهرجان لن تتغير، اللقاءات، الكتاب، الضيوف، وكتاب على هيئة معجم... وختام مكرر لموسم سينمائي مكرر.

على الأرض تستمر المواسم هنا، والمهرجانات، المعارض، وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب يستمران بموسم معارض الكتب، أيار الحالي شهر من التخفيضات على الكتب حتى ٦٠ ٪، موسم بديل عن مشروعنا الثقافي الذي يتداعى، جيش من الكتاب، وقراء يهرعون إلى العمل من أجل لقمة عيش، وفي المساء يأتي الناس إلى المعرض كفسحة بعد أن اجتهد القائمون باستبدال المركز الثقافي والمدرسة بالحديقة العامة، تأتي العائلة لعل باستطاعة الأب شراء كتاب جماعي للقراءة، أو مجموعة حكايات لطفله بدل ركوب السيارة أو قطار الموت في أحد (المولات)، موسم للثقافة والتنزه، موسم مكرر لموسم ثقافي مكرر.

هنا، على الأرض، مواسم فقط تعوض ما كنا نعتقده ذات حلم ثابت يتسع، مواسم لاقتصادنا وثقافتنا وحتى متعنا.. مواسم تلد المواسم.

■■

## سلة الغذاء السورية بين إهمال الحكومة وتقلبات المناخ

# إصابة أكثر من 190 ألف هكتار من حقول القمح بالصدأ الفطري

◄ جمعة خزيم

**يعد القمح من الزراعات الإستراتيجية الهامة في سورية، وركيزة أساسية في البنية الهيكلية للاقتصاد الوطني، والدعامة الكبرى في حفظ الأمن الغذائي والسلة المعيشية اليومية للمواطن السوري، وهو المورد الأهم في الحياة المعيشية للمواطنين في جميع المناطق الشرقية والوسطى والشمالية والجنوبية. هذا الكنز تحول فجأة إلى مأساة حقيقية للكثير من المزارعين، وتحولت فرحتهم ومسراتهم إلى حسرات وهم يراقبون محاصيلهم من الذهب الأصفر يتحول لونها إلى البرتقالي أو الأبيض نتيجة مرض الصدأ الذي أخذ يجتاح حقول القمح دون رحمة ودون رادع.**



كانت المؤسسة العامة لتسويق وتخزين الحبوب قد تسلمت في محصول عام ٢٠٠٩ من القمح نحو ٢.٧ مليون طن، بزيادة حوالي ٣ أضعاف عن محصول عام ٢٠٠٨، الذي تراجع فيه إنتاج سورية من القمح بسبب السياسات والممارسات الحكومية غير الداعمة للفلاحين، إلى حد اضطرارها إلى استيراد هذه المادة الإستراتيجية لأول مرة منذ ١٥ عاماً، بعد تفريطها بالمخزون الاستراتيجي، وعدم الاكتراث بأهم مقومات الأمن الغذائي، حيث يعد القمح ليس محصولاً استراتيجياً فقط، بل ومصدراً للقطع الأجنبي وداعماً للاقتصاد الوطني، وقد حققت سورية الاكتفاء الذاتي مع مخزون هام منذ ثمانينيات القرن الماضي، وأصبحت من الدول المصدرة منذ عام ١٩٩٤، وتشتهر سورية بإنتاج الأقماح القاسية ذات الجودة العالية.

### أضرار في الرقة بدايةً

يتعرض هذا المحصول الاستراتيجي الهام في هذا الموسم إلى خطر كبير، متمثلاً بمرض الصدأ الذي يؤثر كثيراً بكمية الإنتاج ونوعية المنتوج، وقد أكدت مصادر في وزارة الزراعة إصابة ٧٥ ألف هكتار من حقول القمح في الرقة وحدها بهذا المرض، وأكدت تجربة حقل اختباري للقمح الطري في مركز البحوث العلمية الزراعية بالرقة، أن هناك تفاوتاً في الإصابة عند مختلف الأصناف:

فقد كانت الإصابة في صنف سلالة بحوث ٨ قد وصلت إلى ٥٣٪، بينما وصلت الإصابة في صنف شام ١٠ إلى ٧٠٪، وكانت الإصابة الأخطر في سلالات بحوث ٤ و٦ و٨، ودوما ٢ ودوما ٤ ودوما ٤٢٨٢٨ وجولان ٢ وأكساد ٩٨١، حيث وصلت الإصابة إلى ٧٦٪، بينما نادراً ما يلاحظ وجود الصدأ على الأقماح القاسية.

### محافظة الحسكة الأكثر تضرراً

يقول الفلاحون إن عدداً كبيراً من حقول القمح في محافظة الحسكة قد أصيب هذا العام بمرض الصدأ حيث يتحول النبات من اللون الأخضر الزاهي إلى اللون الأصفر البرتقالي، والذين يدخلون هذه الحقول تصطبغ ثيابهم وأحذيتهم بهذا اللون، كما أصيبت مساحات من الحقول المزروعة بالشعير بمرض يشبه الفطور، وقد بلغت المساحة المصابة بمرض الصدأ في المحافظة حوالي ٨٩ ألف هكتار، بعد أن استبشر الفلاحون خيراً هذا الموسم بالأمطار الجيدة التي عمت المحافظة، وكان الفلاحون ينتظرون بفارغ الصبر نضج المحاصيل علهم يعوّضون الخسارات التي أصابتهم في المواسم الماضية، ولكنهم فوجئوا بتلك الأمراض تصيب حقولهم وتهدد محاصيلهم، فبادروا لإبلاغ الجهات المعنية بالمشكلة، ولاسيما مديرية الزراعة والإصلاح الزراعي بالحسكة، ولكن حتى الآن لم يروا حلولاً ولا معالجات على أرض الواقع للحد من هذه المأساة، الأمر الذي أدخل الفلاحين في دوامة القلق، خاصة وأن المساحات المصابة آخذة بالازدياد يوماً بعد آخر، وبحسب التقارير فإن منطقة رأس العين هي الأكثر تضرراً.

**بادر الفلاحون لإبلاغ الجهات المعنية بالمشكلة، ولاسيما مديرية الزراعة والإصلاح الزراعي بالحسكة ولكن حتى الآن لم يروا حلولاً ولا معالجات على أرض الواقع للحد من المأساة**

**المساحات المصابة بالعفن الفطري أو الصدأ منها ما هو مروي ومنها البعلي، وهذا ما يدحض بعض التبريرات التي يسوقها المعنيون بأن الرطوبة هي سبب المرض**

### المنطقة الوسطى ليست أحسن حالاً

اجتاح مرض الصدأ أكثر من ٣٢٠٠ هكتار من محصول القمح في منطقتي بيوض الشرقية وصوران في محافظة حماة، ما يهدد بشكل خطير إنتاج المحافظة من القمح وتدني سويته، ولم يكن قمح منطقة الغاب أحسن حالاً من منطقتي بيوض وصوران، فقد وصلت نسبة الإصابات في منطقة الغاب بين ١٠ ـ ٥٠٪، وتختلف من حقل إلى آخر، فيما تؤكد مصادر زراعية في الغاب أن الأمراض العفنية تصيب الأوراق والساق، وقد تنتقل إلى السنابل وهنا تمكن الخطورة البالغة، وتجدر الإشارة إلى أن المساحات التي طالها هذا المرض غير ثابتة حتى الآن، وأن قسماً كبيراً من وسط الغاب وشماله قد طاله المرض، وإذا استمر الوضع على هذه الوتيرة فقد يؤثر هذا بشكل خطير على حجم الحبوب وتطورها، واللافت في الأمر أن المساحات المصابة منها ما هو مروي ومنها البعلي، وهذا ما يدحض بعض التبريرات التي يسوقها المعنيون بأن الرطوبة هي سبب التعفن الفطري أو الصدأ.

### محصول هام وواقع خطير

للوقوف على تفاصيل الموضوع عن كثب، والبحث عن حلول إسعافية مستدامة، أجرينا عدداً من اللقاءات مع المعنيين من فلاحين ومسؤولين، وقد أجمعوا على خطورة الموقف، ما يتطلب التحرك العاجل والجاد لوضع الحلول المستقبلية:

رئيس دائرة وقاية المزروعات المهندس فهر المشرف أوضح أن المساحة الإجمالية المصابة وصلت إلى أكثر من ١٩٠ ألف هكتار، وللملاحظة فإن هذا الرقم قبل كتابة الموضوع بساعات ولا ندري بعده الرقم الحقيقي، متركزة في المناطق الغربية من محافظة الرقة ومناطق أخرى متفرقة، منوهاً أن الإصابات طالت بشكل أوسع أصناف الأقماح الطرية، وبالأخص (شام ٨) الذي أبدى حساسية أكثر للمرض، فيما كانت الأصناف القاسية مقاومة أكثر، وقد تم تشكيل لجان في المصالح الزراعية ودائرة الوقاية والبحوث العلمية، جالت على مناطق الحقول المصابة بهدف دراسة الوضع على أرض الواقع، وتم توجيه المزارعين بتنظيم السقاية والتخفيف من استخدام السماد وخصوصاً الآزوتي، وعدم استخدام المبيدات الكيماوية لعدم جدواها.

وأضاف المشرف أن الأصداء هي أمراض فطرية خطيرة تصيب محاصيل نجيلية مختلفة مثل القمح والشعير، والأصداء على القمح ثلاثة أنواع تختلف حسب الفطر المسبب وموقع وشكل الإصابة، والظروف المناخية لكل منها، وقد توجد إصابة مختلطة بأكثر من نوع معاً ومنها:

ـ صدأ الأوراق: ويظهر على الأوراق فقط، وهو الأكثر شيوعاً في جميع المناطق التي يزرع فيها القمح، وتؤدي العدوى منه إلى انخفاض المحصول بنسبة تصل إلى أكثر من ٢٠٪ بسبب موت الأوراق وانكماش الحبوب وينتشر عبر الهواء الحامل للأبواغ، وتتطلب عملية الإنبات إلى رطوبة جوية عالية، المثلى ١٠٠٪، ودرجة الحرارة المثلى للإنبات تتراوح بين ١٥° ـ ٢٥°.

– الصدأ الأصفر: وهو بثرات مبعثرة غير متلاصقة وذات شكل شبه دائري ينتشر على الأجزاء الخضرية من النبات عدا الساق، وهو الأكثر خطورة في منطقتنا ويؤدي إلى انخفاض مهم في الغلة.

– صدأ الساق: ينتشر على كل الأجزاء الخضرية من النبات ويحدث ضرراً لا يقل عن غيره في كمية الإنتاج.

### الرطوبة سببه والمكافحة غير مضمونة النتائج

يتطلب تطور الإصابة عموماً وجود مسبب المرض وتوفر الرطوبة العالية التي تؤمن طبقة خفيفة من الماء الحر على سطح النبات (لإنبات ودخول أنبوب العدوى إلى النسيج النباتي) ويساعد ذلك حسب تقرير من الجهات المعنية وجود الندى أثناء الليل وفي الصباح الباكر، كما أن لدرجة الحرارة دوراً مهماً في حدوث الإصابة ولكل نوع من أنواع الصدأ درجة حرارة مفضلة: صدأ الأوراق ١٨° ـ ٢٢°، صدأ الساق ٢٥° ـ ٣٥°، الصدأ الأصفر الذي أصاب حقول الشعير ١٠° ـ ١٥°، وهنا يلعب الفرق الواسع بين درجات الحرارة في الليل والنهار دوراً كبيراً في حدوث الإصابة، وبذلك فإن الإصابة تحدث تبعاً للظروف المناخية وتتغير نتيجة لذلك مواعيد ومناطق حدوثها والنوع السائد من الأصداء، ويساعد على الانتشار الإسراف في التسميد الآزوتي من قبل الفلاح وأيضاً الزراعة المبكرة، فالقمح أكبر من عمره الافتراضي بـ٤٠ يوماً، ما يجعل المحصول في خطر في حال تعرضه للصقيع في مرحلة الإزهار، ومن الوارد حدوث بعض موجات صقيع .

يضيف مصدر مطلع: إن الوزارة متابعة للموضوع على كل المستويات وهناك زيارات للحقول المصابة، لكن لا نتائج مضمونة في حال المكافحة بالمبيدات التي ستكون خسارة إضافية للفلاح، مادامت الظروف ملائمة للفطريات، أما في حال ارتفعت الحرارة مع بقاء السنبلة سليمة وعدم إصابة الورقة العَلَمية حولها بالصدأ فستكون الخسائر وسطية.

– خضر المحيسن رئيس اتحاد الفلاحين في الحسكة، قال إن الإصابة موجودة وإن الجهود المبذولة في حل المشكلة مازالت دون المستوى المطلوب، وحول السؤال عمّا يقال إن الأمطار والرطوبة الزائدة هي سبب هذا المرض، قال: إن موسم عام ١٩٨٨ كان مشابهاً لهذا العام من حيث غزارة المطر، إلا أنه لم يصب القمح بأي مرض، فنحن نرى هذا المرض لأول مرة في حقولنا، وإننا ننتظر من مصلحة الزراعة والوحدات الإرشادية توجيهات وإرشادات لمكافحة المرض قبل أن يستفحل. وفي حال أصبحت الخسائر قاتلة ومهلكة للمحصول، نطالب بإعفاء الديون المترتبة على هذا المحصول وتعويض الفلاحين، بالإضافة لتأمين وسائل المكافحة للمستقبل في حال تعرضت المحاصيل لمثل هذه الأمراض، وإلا فمن أين سيسدد الفلاحون ديونهم؟ وكيف سيأكلون ويصرفون على زراعة المحصول الصيفي، إن صدقت مخاوفهم وأفنى مرض الأصداء محصولهم؟!

### ماذا بعد؟!

بلغت المساحات المصابة بهذا المرض في المناطق الشمالية والوسطى والشرقية حوالي ١٩٠ ألف هكتار من القمح المروي و٤٠ ألف هكتار من القمح البعلي، وتشكل بمجموعها أكثر من ١٢٪ من إجمالي المساحات المزروعة بالقمح والبالغة ١,٦ مليون هكتار، وتتوقع التقارير المختصة أن يتوقف نشاط المرض عند ارتفاع درجات الحرارة ليلاً عن ١٥° م ونهاراً عن ٢٥° م، فهل يكفي أن تعتمد الحكومة على تحسن حالة المناخ لمكافحة هذا المرض؟!

يجب العمل على اتخاذ إجراءات عملية عاجلة لمعالجة الحقول المصابة وإنقاذ المحصول، واتخاذ جميع التدابير اللازمة لعدم تعرض هذا المحصول الهام لمثل هكذا جوائح في المستقبل، يجب إجراء الدراسات والبحوث على أنواع البذار وتقييم الأصناف الطرية والقاسية من حيث الحساسية لمرض الصدأ، وتنويع الأصناف المزروعة في المنطقة الواحدة وتوعية الفلاحين عن طريق الإرشاد الزراعي بضرورة إتباع الأساليب الزراعية المناسبة، وخاصة معدلات البذار والري والتسميد.

هل ستبقى العوامل الجوية والظروف المناخية حجة لكل مشاكلنا الزراعية؟! لابد من المتابعة الجادة وتقييم الوضع بكل تفاصيله وبكل موضوعية وواقعية، والعمل على اتخاذ الإجراءات لإنهاء هذه المعضلة، لما لها من أثر سيء على الفلاح والوطن معاً!!

■■

# أرقام خلبية للحكومة.. بينما الواقع يزداد سوءاً!

**هذه المادة تشكل الجانب الاقتصادي من المداخلة التي قدمها النقابي نزار ديب في المجلس العام لاتحاد العام لنقابات العمال المنعقد في دمشق مؤخراً، وقد ارتأينا نشرها لما لها من أهمية في دحض الأرقام التي تقدمها الحكومة.. المحرر.**

◄ **نزار ديب**

**بعمليات حسابية متواضعة تظهر الأرقام مدى حالات الارتباك والتقصير والتباطؤ الاقتصادي والتناقض في التصريحات والفساد والخلل في بعض مفاصل السياسة الاقتصادية الحكومية.**

### أولاً ـ في مجال التهرب الضريبي:

تدعي الحكومة ووزارة المالية بأن التهرب الضريبي قد تراجع، بينما الأرقام تقول عكس ذلك تماماً، ولنأخذ مثال الأعوام ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ٢٠١٠ حسب الجدول رقم (١).

نلاحظ أن نسبة التحصيل الضريبي من حجم الموازنة العامة انخفض: من ٥, ٦٦٪ عام ٢٠٠٨ إلى ٣, ٥٨٪ عام ٢٠٠٩، إلى ١١, ٥٣٪ عام ٢٠١٠ .. وإذا لاحظنا الفارق البسيط في الجباية الضريبية نجد أنه:

في عام ٢٠٠٨ كانت قيمة التحصيل الضريبي كزيادة عن عام ٢٠٠٧ /٣٧٦, ٦٣/ مليار ل.س. وفي عام ٢٠٠٩ كانت قيمة التحصيل الضريبي كزيادة عن عام ٢٠٠٨ /١٤,٣١٥/ مليار ل.س. وفي عام ٢٠١٠ كانت قيمة التحصيل الضريبي كزيادة عن عام ٢٠٠٩ /١٩٤, ٢١/ مليار ل.س.. وهي أرقام مخجلة لا تعبر عن قيادة حكيمة في التحصيل الضريبي، فالمهرب منه يقدر بـ/٢٠٠/ مليار ل.س حسب الإحصائيات الرسمية، وإن هذا التحصيل أكثر من /٨٠٪/ منه هو من القطاع العام، فأين هي خطة وزارة المالية؟ وأين هو القطاع الخاص وضرائبه التي يجب أن تساهم في التنمية الشاملة حسب التقارير الحكومية؟ إن التهرب الضريبي هو خيانة وطنية كبرى.

### ثانياً ـ بالنسبة للإنفاق الجاري:

الحكومة تقول إنها حققت أرقاماً ممتازة في قطاعات الخدمات الاجتماعية من صحة وتعليم ودعم رواتب وأجور وغيرها، والأرقام الموجودة لدينا تخالف هذه الرؤية الحكومية حسب الجدول رقم (٢).

حيث نلاحظ من خلال الجدول أن الإنفاق الجاري انخفض من ٤٤, ٦٨٪ عام ٢٠٠٨ إلى ٠٧, ٦٣٪ عام ٢٠٠٩، إلى ٦٣, ٥٦٪ عام ٢٠١٠، وهذا يؤكد عدم الاهتمام في القطاعات الخدمية الرئيسة من صحة وتعليم، وعدم وجود زيادة حقيقية في الإنفاق لهذه القطاعات، وأيضاً مؤشر على نزوح اليد العاملة وازدياد حجم البطالة.

### ثالثاً ـ بالنسبة للإنفاق الاستثماري:

ارتفع الإنفاق الاستثماري بالنسبة لحجم الموازنة العامة من ٥٥, ٣١٪ عام ٢٠٠٨ إلى ٩٢, ٣٦٪ عام ٢٠٠٩، إلى ٣٦, ٤٣٪ عام ٢٠١٠، وهذه الزيادة في الإنفاق الاستثماري يجب أن تعطي زيادة في الإيرادات الاستثمارية وهنا نجد أن الإيرادات الاستثمارية تتناقص أو تتساوى مع بعضها، وهذه معادلة علمية تؤكد قضية وجود فساد وإثراء على حساب المشاريع الاستثمارية، فالقاعدة الاقتصادية تقول إن أي زيادة في الإنفاق الاستثماري يؤدي إلى زيادة في الإيرادات الاستثمارية، وهذا التناقض يدل على أمرين:

الأول: حالات فساد ونهب المال العام.

الثاني: عدم وجود جدوى اقتصادية من هذه المشاريع الاستثمارية.

### رابعاً ـ بالنسبة لعجز الميزان التجاري:

ارتفع العجز في الميزان التجاري السوري من /٢٦/ مليار عام ٢٠٠٨ إلى /١٣١/ مليار عام ٢٠٠٩، وعجز الميزان التجاري للقطاع الخاص بست سنوات متتالية بلغ /٥٩٩/ مليار ل.س وهذا يدل على أمرين:

الاستيراد أكبر من التصدير للقطاعين معاً، وهو مؤشر على ضعف الصناعة السورية.

اعتماد القطاع الخاص على الاستيراد مما يؤكد عدم جدواه الاقتصادية، خصوصاً إذا علمنا أن معظم مستورداته هي من الصناعات التحويلية كالأغذية والكيماوية والفلزات وغيرها، وهذا الأمر قد يؤدي إلى فقدان مدخراتنا الوطنية من القطع الأجنبي، ويحق لنا في الحركة النقابية أن نضع إشارات الاستفهام والتعجب لمساهمة قطاع الصناعة التحويلية في الناتج المحلي، فقبل صدور قانون الاستثمار رقم /١٠/ لعام ١٩٩١ كانت مساهمة هذا القطاع في الناتج المحلي /٥٪/ وبعد صدور القانون أصبح /٨, ٧٪/ أي بنسبة زيادة /٨, ٢٪/، فأين ذهبت المليارات من أرباح هذا القطاع؟ وأين هو القطاع الخاص الذي تتسابق الحكومة في تسهيل مهمته؟ لقد أثرى القطاع الخاص على حساب الشعب وعلى حساب الوطن.

### خامساً ـ بالنسبة لتراجع مؤشرات الزراعة:

تراجع الإنتاج الزراعي عام ٢٠٠٧ كما تراجعت المساحات المزروعة مقارنة مع الأعوام السابقة، حيث بلغ معدل نمو ناتج الزراعة نحو /-١٠٪/ والمقرر في الخطة الخمسية العاشرة للعام نفسه /٥, ٥٪/، وانخفضت مساهمة الإنتاج الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي من /٢٣٪/ عام ٢٠٠٥ إلى /١٧٪/ عام ٢٠٠٨.

### سادساً ـ بالنسبة للبطالة:

الرقم الرسمي للعاطلين عن العمل هو /١٦٢, ٣٨٢, ١/ مواطناً والمسجلون في مكاتب الشؤون /٢٨٨, ٥٢٢, ١/ مواطن، والمشتغلون /١٢٦, ١٤٠/ أي نحو /٢, ٩٪/ من عدد المسجلين بالشؤون حازوا على فرصة عمل، أما النسبة الحقيقية للبطالة فهي تتجاوز /٢٥٪/ حيث زادت نتيجة قرارات وقوانين اتخذت من القانون /٥٩/ القاضي بعدم أو منع البناء في الأحياء الشعبية أو ما يسمى بالسكن العشوائي حجة. يوجد اليوم مئات الآلاف من الشباب يعملون في ورش البناء جميعهم توقفوا عن العمل، يضاف إليهم توقف العديد من السائقين الذين كانوا يعملون على سيارات السرفيس نتيجة دخول الرأسمال الخاص لقطاع النقل في المحافظات. وهذه النسب تعكس بشكل واضح العجز الحكومي في تحقيق تنمية شاملة، تكون قادرة على تشغيل جيش العاطلين عن العمل.

**الجدول رقم (١)**

| العام | ٢٠٠٨ | ٢٠٠٩ | ٢٠١٠ |
|---|---|---|---|
| الإيرادات الجارية ضرائب ورسوم | ٩٨٥, ٣٦٤ مليار | ٣٠٠, ٣٧٩ مليار | ٤٩٤, ٤٠٠ مليار |
| حجم الموازنة | ٣٩٤, ٥٤٨ مليار | ٠٠٠, ٦٥٠ مليار | ٠٠٠, ٧٥٤ مليار |
| نسبة مساهمة الضرائب | ٥, ٦٦٪ | ٣, ٥٨٪ | ١١, ٥٣٪ |

**الجدول رقم (٢)**

| العام | ٢٠٠٨ | ٢٠٠٩ | ٢٠١٠ |
|---|---|---|---|
| الإنفاق الجاري | ٣٢٧, ٣٧٥ مليار | ٠٠٠, ٤١٠ مليار | ٤٢٧ مليار |
| حجم الموازنة | ٣٩٤, ٥٤٨ مليار | ٠٠٠, ٦٥٠ مليار | ٠٠٠, ٧٥٤ مليار |
| نسبة الإنفاق | ٤٤, ٦٨٪ | ٠٧, ٦٣٪ | ٦٣, ٥٦٪ |

### سابعاً ـ الأجور والرواتب:

إن ما تتحدث عنه الحكومة من نمو اقتصادي بين /٤ ـ ٥٪/ خلال تنفيذ الخطة الخمسية العاشرة، لم ينعكس على الرواتب والأجور قياساً بالأسعار الرابحة للسوق وحسب الأرقام الإحصائية فإن متوسط الأجور الشهرية للقطاع الغير منظم تقارب/٩٠٠٠ ل.س/ مع العلم أنه يشكل نسبة /٤٠٪/ من قوة العمل السورية، وإن رفع رواتب المتقاعدين إلى /٦٠١٠ ل.س/ هو اعتراف الحكومة بوجود أكثر من /٥٣/ ألف متقاعد يعيشون تحت خط الفقر، وأما رواتب العاملين في الدولة فلم تصل! ولن تصل بمتوسطها للرقم الذي طرحه رئيس الحكومة /٢٤/ ألف ليرة سورية، وهي في جميع الأحوال متدنية ولا تكفي العامل لسد رمقه من تعب الحياة وأسواقها المنفلتة.

**أخيراً أؤكد على الورقة الإصلاحية الواردة في تقرير المجلس مع التأكيد على المقترحات التالية:**

١. إصلاح القطاع العام الصناعي والإنشائي ورصد الاعتمادات له.
٢. تحقيق نسب النمو الواردة في الخطة الخمسية العاشرة وأن تنعكس على الواقع المعيشي للمواطن.
٣. مراقبة الإنفاق الاستثماري وتوجيهه نحو تنمية حقيقية ورصد اعتمادات جديدة لمشاريع جديدة.
٤. زيادة الإنفاق الجاري في قطاع الصحة والتعليم والخدمات العامة.
٥. مكافحة التهرب الضريبي ومحاسبة المتهربين وفضح أسمائهم عبر الصحف والقنوات الإعلامية.
٦. مكافحة الفساد وبأشكاله المختلفة وفي كل المواقع وعلى كافة المستويات.
٧. إعادة النظر بالقانون /١٧/ لعام ٢٠١٠ الناظم لعمل القطاع الخاص وخاصة المادة /٦٥/ منه.
٨. تفعيل اللجان الدارسة للحقوق العمالية الواردة في القانون الأساسي للعاملين في الدولة من طبيعة عمل ومخاطره والجهد والاختصاص الفني...
٩. إيجاد الحلول المناسبة لتقليص حجم البطالة السورية والاستفادة من قوة العمل السورية كرافد لواردات الدولة.
١٠. زيادة الرواتب والأجور بما يتناسب مع أسعار السوق ومع الوضع المعيشي.
١١. الابتعاد في التنظيم النقابي عن حماية الفاسدين والمقصرين لأننا حين ننتقد الأداء الحكومي فعلينا أن ننقد أداءنا ونعترف بتقصيرنا وظهور حالات الفساد بين بعض النقابيين، مع التركيز على محاربة المركزية الشديدة في اتحاداتنا، والتأكيد على وجود المحسوبية والوصولية والخلل في الكثير من مستويات الحركة النقابية السورية.

● **نقابي بارز**
**عضو المجلس العام لاتحاد نقابات العمال**

# أداء المصارف السورية الخاصة.. تحت المجهر

◄ **قاسيون**

أكد د. أيمن الميداني خلال محاضرة خصصتها جمعية العلوم الاقتصادية السورية لعرض «موقع وأداء المصارف الخاصة في النظام المصرفي السوري»، أن إجمالي ودائع القطاع المصرفي في سورية نمت من ٦٧٠ مليار ليرة عام ٢٠٠٤ إلى ١.١٩١ مليار ليرة نهاية ٢٠٠٩، أي بنسبة ٧٧.٧٦٪، وفي التفصيل أوضح أن ودائع المصارف الخاصة ارتفعت خلال هذه السنوات الخمس من ٢٠ إلى ٣٤٠ مليار ليرة، أي نحو ١٧ ضعفاً، ما أدى إلى ارتفاع حصتها من إجمال الودائع المصرفية من ٣٪ عام ٢٠٠٤ إلى ٢٩٪ نهاية ٢٠٠٩، وأشار الميداني إلى أن ودائع المصارف الخاصة نمت عام ٢٠٠٩ بمعدل ٤٦, ٢٥٪. أما ودائع المصارف الحكومية فبيّن الباحث أنها ارتفعت خلال الفترة نفسها من ٦٥٠ إلى ٧٩٥ مليار ليرة، أي بنسبة ٢٢٪ فقط، بينما ازدادت ودائع المصارف الإسلامية من ٣٥ إلى ٥٦ ملياراً ما بين ٢٠٠٨ و٢٠٠٩، أي بنسبة ٦٠٪.

وفيما يتعلق بودائع العملة الأجنبية في القطاع المصرفي أوضح الميداني أن هذه الودائع ازدادت في القطاع المصرفي ككل من ٦٤ ملياراً في ٢٠٠٤ إلى ١٩٣ ملياراً في ٢٠٠٩، بنسبة ٣٪، ولاحظ الباحث أن انخفاضاً واضحاً طرأ على حجم ودائع العملة الأجنبية في القطاع المصرفي خلال ٢٠٠٩ حيث انخفضت من ٢١١ ملياراً في ٢٠٠٨ إلى ١٩٣ ملياراً في ٢٠٠٩، وقدر الانخفاض بنسبة ٥٥, ٨٪ عازياً سببه إلى التراجع الكبير في ودائع العملات الأجنبية في المصارف الحكومية التي انخفضت من ٨٤ إلى ٥٠ مليار ليرة، موضحاً أن ذلك قلّص حصة المصارف الحكومية من إجمالي ودائع العملة الأجنبية من ٤٠٪ إلى ٢٦٪ عام ٢٠٠٩.

وفي السياق أوضح الميداني أن ودائع العملة الأجنبية في المصارف الخاصة ازدادت ١٢ ضعفاً خلال خمس سنوات، حيث قفزت قيمتها من ١٠ إلى ١٢٧ مليار ليرة وفاقت بحجمها حجم العملات الأجنبية المودعة في المصارف الحكومية ابتداءً من ٢٠٠٦، وبذلك حسب قوله ارتفعت حصة المصارف الخاصة في ودائع العملات الأجنبية من ١٥٪ عام ٢٠٠٤ إلى ٦٦٪ عام ٢٠٠٩، ولاحظ الباحث أن دخول المصارف الإسلامية إلى السوق المصرفية حدّ قليلاً من نمو ودائع العملات الأجنبية في المصارف التجارية الخاصة، حيث انخفض معدل نمو هذه الودائع من ٢٩٪ عام ٢٠٠٧ إلى ٧٤, ١٢٪ عام ٢٠٠٨ ثم إلى ٨, ١٠٪ في ٢٠٠٩، موضحاً أن المصارف الإسلامية حصلت عام ٢٠٠٨ على ٦, ١١ مليار ليرة وعلى ٦١, ١٥ ملياراً عام ٢٠٠٩، وهو ما يمثل ٨٪ من إجمالي ودائع العملات الأجنبية في المصارف السورية.

واستفاض د. الميداني في موضوع فائض السيولة لدى المصارف الخاصة، موضحاً أن مسألة السيولة العالية التي تعاني منها المصارف الخاصة في سورية يمكن أن تتوضح بشكل جلي عبر استعمال بعض النسب المصرفية



التحليلية التي تشير إلى ارتفاع هذه السيولة، على أنه يمكن تتبع مستوى السيولة العالية في المصارف الخاصة السورية عبر تفحص نسب مالية مصرفية مؤشرة مثل نسبة القروض إلى الودائع، ونسبة الأرصدة والإيداعات لدى مصارف أخرى إلى الودائع، ونسبة الودائع بالعملة الأجنبية، وفيما يتعلق بنسبة القروض إلى الودائع (بالعملة السورية والأجنبية) بيّن الباحث أن وسطي هذه النسبة بلغ ٥٣, ٤٣٪ في ٢٠٠٩، مرتفعةً قليلاً من ٥٩, ٤٠٪ عام ٢٠٠٨، وتابع أن هذه النسبة تزداد عند استبعاد ودائع العملة الأجنبية غير المسموح إقراضها داخلياً إلاّ في حالات معينة (تمويل التجارة الخارجية أو المشروعات المرخصة على قانون الاستثمار)، فتصل إلى ٤٨, ٦٩٪ في ٢٠٠٩ منخفضةً قليلاً من ٥١, ٧٠٪ عام ٢٠٠٨.

أما نسبة الأرصدة والإيداعات لدى مصارف أخرى إلى الودائع، فتكمن أهميتها حسب قول د. الميداني في أنها توضح النسبة من الودائع التي استمالتها المصارف من الزبائن ووظفتها مع مصارف مراسلة في الخارج ومع البنك الأم، وهذه النسبة يجب أن تكون مساويةً أو قريبةً من نسب الودائع بالعملة الأجنبية لدى المصارف، وأوضح الميداني أن هذه التوظيفات قد تراجعت بنسبة ٤٪ لقطاع المصارف الخاصة وسطياً لتصل عام ٢٠٠٩ إلى ٦١, ٤١٪ مقارنةً مع نسبة ٨٥, ٤٥٪ عام ٢٠٠٨.

وحول نسبة الودائع بالعملة الأجنبية إلى إجمالي الودائع بيّن الباحث أنها بلغت مالا يقل عن ٣٥, ٣٧٪ في ٢٠٠٩، مرتفعةً من ٤٣, ٤٢٪ في ٢٠٠٨.

وفي نهاية المحاضرة خلص د. الميداني إلى أن بقاء الفوائد العالمية على مستواها المتدني جداً واتجاه المصارف نحو التوسع في التسليف الداخلي والتنافس على التوسع فيه، إلى جانب عدم تحقيق معدلات نمو مؤثرة في الاقتصاد السوري والاستمرار في زيادة عدد المصارف بدخول مصارف جديدة وتوسيع شبكات الفروع، كل هذه الأمور مجتمعة لا تعزز التوقعات بأن تحقق المصارف الخاصة أحجام ومعدلات نمو عالية في أرباحها كما اعتادت خلال السنوات السابقة.

■■

# وباء الخصخصة.. والحلول المؤقتة

◄ **حسان منجه**

الخصخصة هي أعرض عناوين الإصلاح الاقتصادي وأكثره تداولاً، وهي أقرب المصطلحات إلى قلب الحكومة وفريقها الاقتصادي في يومنا هذا، ولكن مع ذلك يؤكد الواقع، ويرى العديد من الاقتصاديين الوطنيين في الخصخصة مجرد محاولة شكلية وبائسة لإخراج الحكومة السورية من مأزق فشلها خلال السنوات الطويلة الماضية في إجراء إصلاحات اقتصادية اجتماعية فاعلة تصب في مصلحة الفئات الاجتماعية العريضة، وذلك لاستشراء الفساد في كل المفاصل التنفيذية بالدرجة الأولى، وبالتالي تحولها عن مكافحة هذا الوباء «مرض الاقتصاد الأساسي» بوضعها المشكلة الاقتصادية اليوم في مكان آخر، عبر تحميل آلية الدعم الحكومي المتبعة في السابق، والقطاع العام المخسر «الختيار» مسؤولية فشل السياسات المتبعة في الماضي، كما حمل النائب الاقتصادي «القدر» فشل الخطة الخمسية العاشرة في أداء مهامها، لأن السماء لم تنعم بالأمطار التي أرادها الدردري لإنجاح الخطة..! لكن الإجابة برأينا على المعادلة الأساسية في نقاش اليوم هي التي تحدد ماهية وضرورات عمليات الإصلاح الاقتصادي الجارية، فهل سياسة الخصخصة التي «يطبل» و«يزمر» لها اليوم هي انعكاس لمتطلبات واقع اقتصادي يتطلب الإصلاح بالكيّ «الخصخصة» مع كل التطور الحالي في الطب ووسائل العلاج، أم أن هذه السياسة تأتي انطلاقا من الجو والتيار العالمي «الدارج» الذي يستسيغ ويطلب الولوج إلى سياسات الخصخصة، ويكون في هذا السياق انتقاماً من التأميم في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، الذي اتبعته الكثير من الحكومات في العالم العربي والبلدان النامية، ووضعته في أولويات برامجها الاقتصادية؟!!

خصخصة بالجملة، هي أبرز سمات السياسات الاقتصادية المتبعة اليوم، فلم يعد الهدف إزاحة عبء هذا القطاع الخاسر أو ذاك عن كاهل الدولة عبر خصخصته - رغم درايتنا بأن عملية إصلاحه ممكنة -، بل إن هناك خصخصة بالجملة للقطاعات الحكومية.. والغريب أن هذه السياسة لا تتبع عندنا – نحن الممانعين- وحسب، بل يتبع بشكل لافت للنظر والتساؤل في بلد حليف لنا، و(أرجلنا معه في الفلقة)، فها هي إيران تقرر خصخصة ٥٢٤ شركة حكومية خلال السنة المالية الجديدة ٢٠١٠، ومن بين تلك الشركات شركتا «سايبا» و«إيران خودرو» للسيارات، أملاً بجمع ١٢,٥ مليار دولار من خصخصة مئات الشركات.

وفي السعودية التي أدخلت الخصخصة والاستثمارات - الأجنبية في غالبها - إلى ٢٥ قطاعاً اقتصادياً لديها، بما في ذلك قطاعي الصحة والتعليم، والعديد من قطاعات البنى التحتية تساهم الخصخصة في زيادة تبعيتها للرأسمال المعولم.

وبالعودة إلى سورية نشير إلى أن عدوى الخصخصة تتنقل بين قطاعاتها الاقتصادية بدءاً بالاتصالات مروراً بالتعليم والصحة والنقل البري والجوي وصولاً إلى أبي القطاعات الاقتصادية، حيث يجري الحديث اليوم عن استثمار أجنبي قادم إلى قطاع الطاقة والكهرباء. والسؤال الذي لا بد من طرحه أمام مشهد الخصخصة التراجيدي هذا، هل متطلبات الخصخصة وعمليات تشجيع الاستثمار اليوم تتجسد في ضرورة البحث عن موارد مالية تعجز هذه الحكومات عن تأمينها فعلاً – على «حد» قول هذه الحكومات–، في الوقت الذي يقول فيه لسان حال هذه الاقتصاديات غير ذلك؟ فالسعودية هي أكبر دولة مصدرة للنفط في منظمة أوبك تليها إيران، وكذلك هو حال الاقتصاد السوري، حيث أكدت إحدى الدراسات أنه الأغنى بين اقتصاديات الدول العربية لتنوع موارده بما فيها النفطية، وخير دليل عليها اكتشافات بعثات وشركات التنقيب في كل يوم بحاراً جديدة من الذهب الأسود في أعماق أراضيه شرقاً وغرباً.. فما الذي يكرس هذا

قاسيون - العدد 452 السبت 8 أيار 2010

# مفاوضات في ظلال المستعمرات والتنازلات



**محمد العبد الله**

عادت لجنة المتابعة العربية مجدداً، لترتكب الخطأ في تجاوز صلاحيتها ووظيفتها. فقد اتخذت قراراً خارج المهمة الملقاة على عاتقها، بتوفير مظلة عربية رسمية «مثقوبة» لعودة سلطة رام الله المحتلة لممارسة سياسة المفاوضات التي مضى على توقفها عدة شهور. لم تكن محادثات التقارب عبر الوسيط الأمريكي غير المحايد، سوى التأكيد مجدداً على انزلاق قيادة المقاطعة وحكومة تصريف الأعمال المنتهية صلاحيتها، إلى مستوى آخر من التنازل، (في نسف) لكل الكلام الذي كررته الماكينة الإعلامية للسلطة «أشخاصاً وصحافة وفضائيات» عن عدم العودة لأي شكل من التفاوض، مالم يتم وقف كل أشكال بناء المستعمرات وتوسيعها، والاستيلاء على الأحياء والشقق العربية في مدينة القدس. لكن قيادة السلطة استندت على الوعود السخية للإدارة الأمريكية، التي ساهم بتسويقها وتجميلها بعض وزراء الخارجية العرب. هذه الوعود التي عبر عنها بشكل مباشر هشام يوسف مدير مكتب الأمين العام لجامعة الدول العربية بقوله (إن واشنطن وعدت الفلسطينيين بألا تخرج خطة بناء ١٦٠٠ وحدة سكن في رمات شلومو إلى حيز التنفيذ في أثناء المفاوضات «الإسرائيلية»– الفلسطينية غير المباشرة). لكن حديث «نتنياهو» في مقابلته بالقناة الثانية لتلفزيون العدو يوم ٤/٢٢ جاء ليؤكد على الإستمرار في البناء الاستيطاني/ الاستعماري (لن يكون هناك تجميد في القدس) في تجسيد مستمر للمواقف التي تضمنها خطابه في جامعة بار ايلان يوم ٢٠٠٩/٦/١٤ (البناء في القدس مثل البناء في تل أبيب.. وهو شأن «إسرائيلي» داخلي). ويبدو أن الفترة التي تقرر فيها العمل بمحادثات التقارب قد اختلف على تحديدها كل من رئيس وزراء قطر الذي تحدث بالمؤتمر الصحفي بالقاهرة باسم لجنة المتابعة قائلاً (لقد مضى شهران وبقي شهران) منطلقاً في ذلك من تاريخ القرار/ التغطية الأول في الثالث من شهر مارس/ آذار المنصرم. بينما يصر محمود عباس على أن الفترة المتبقية هي الشهور الأربعة الموعودة! ذهاب وفد السلطة للمفاوضات غير المباشرة من خلال المكوك الأمريكي «ميتشل»، سيكون خروجاً على مواقف القوى المتحالفة داخل اللجنة التنفيذية للمنظمة، وهذا ماأكده رئيس السلطة قبل عدة أيام أثناء حديثه لصحيفة «الأيام» الصادرة في رام الله المحتلة بالقول (إن المفاوضات غير المباشرة ومحادثات التقارب ستبدأ فور إقرار اللجنة التنفيذية لـ«م.ت.ف») للتأكيد على احترامه لرأي اللجنة(!) التي يعرف القاصي والداني انتهاء شرعيتها، واقتصار وظيفتها على تمرير سياسات قيادة المقاطعة. وعلى الرغم من صدور عدة بيانات في رام الله عن عدة فصائل، تطالب بعدم العودة لأي شكل من أشكال التفاوض، ناهيك عن رفض قوى وفصائل وطنية وإسلامية، وهيئات شعبية فلسطينية لسياسة «الحياة مفاوضات»، وتمسكها بخيار المقاومة، فإن السلطة ذاهبة لمحادثات التقارب التي يصر عباس على أن تكون واحدة من أهم خطوات التوجه لها مرتكزة على الأمن، كما يقول في حديثه للصحيفة (علينا أن نحافظ على الامن. رغم اني أرى عوائق عديدة، واشدد على أن في «إسرائيل» يوجد من هم غير معنيين بالسلام، فإن علينا أن نحاول حتى اللحظة الاخيرة). لكنه بالتأكيد لايقصد بـ«غير المعنيين بالسلام» رئيس حكومة العدو. ففي مقابلة بثتها مؤخراً القناة الثانية في تلفزيون العدو، يقول عباس (لاتوجد أزمة ثقة مع نتنياهو).

في ظل هذا التوجه العام لقيادة السلطة، سواء ماجاء بالمقدمات التي تحكم رؤيتها لمحادثات التقارب، أو عبر الممارسات التي تسلكها أجهزة أمن «حكومة فياض» في ملاحقة المقاومين واعتقالهم، وفي الخطابات التي أكد فيها فياض (بن غوريون فلسطين كما وصفه قادة العدو) من على منصة مؤتمر هرتسيليا الأخير، أو في التصريحات المنشورة في صحيفة «هآرتس» مؤخراً، تؤكد جميعها مجدداً على تنازلات خطيرة تمس قضايا الصراع العربي/ الصهيوني، مما يجعل المواطن العربي، والفلسطيني خصوصاً، يتلمس النتائج الكارثية الجديدة التي ستنتج عن هذه المحادثات/ المفاوضات، التي ستدور على أرضية/ توجهات حكومة نتنياهو، في ظل تفهمات الراعي غير النزيه. بمعنى أن القضايا المطروحة ستكون داخل حدود المربع الذي يرسمه وفد العدو، الذي تتيح له حرية الحركة المدروسة، امكانية التلاعب والتضليل في بعض المسائل الهامشية، عبر عملية تدوير لزوايا ذلك المربع.

في الخطوات الجديدة، على طريق الذهاب بالمفاوضات غير المباشرة، تتوضح للمرة الألف، خطورة ماجلبته حكومة وقيادة المقاطعة في رام الله المحتلة، من أضرار على الحركة الوطنية بمستوياتها الفلسطينية والعربية، والتي كانت النتيجة الطبيعة والمباشرة لنكبة العرب الثانية المسماة «اتفاق أوسلو».

■■

# لماذا يا سيد حسن؟

**إبراهيم البدراوي - القاهرة**

**جرى «إنزال العقاب» بخلية حزب الله في مصر! لأن هذه الخلية «هددت» الأمن القومي المصري «بشكل لا سابق له»! إذ كانت تعمل على دعم ومساعدة المقاومة في غزة وهو ما يصيب «أبناء العم» بالضرر، رغم أن جريمة «شعب الله المختار» هو عودته الى «الوطن التاريخي»، واسترداده لغالبية «أرضه» من سلالة كنعان.**

هذا ظلم فظيع «لأبناء العم»، لا يجب السكوت عنه. لذا أقدمت سلطة الرئيس مبارك «المبارك» على موقفها الحازم الحاسم، لأنها رأت الكارثة أكبر بكثير مما يتصورها أحد..!



## خطر المقاومة الداهم على مصر

المقاومة تشكل خطراً داهماً على سلطة الأكابر الذين استطاعوا في سنوات قلائل، وبفعل شطارتهم الاستحواذ على ثروات هائلة تقدر بالمليارات، ولذلك فإنهم وعلى مختلف الصعد يمارسون السياسات التي تؤمن لهم الاستمرار وتحقيق المزيد من الثراء والازدهار. فهل هذا عيب؟ أم العيب فينا نحن الغالبية الساحقة من المصريين الكسالى؟ خاصة وأن المقاومة بكل صورها ومستوياتها تنتقل بالعدوى، وتحمل الخطر.

في مصر، ومن وجهة نظر الأكابر المتحكمين، فإن المقاومة من أي نوع، سلمية أو غير سلمية، بالمظاهرات والاعتصامات أو الاحتجاجات تشيع السخط والوعي، وتؤدي إلى العصيان وشق عصا الطاعة. وهذا خطر محدق يعيق ويهدد «البرنامج الإصلاحي» الكبير الجاري، خاصة أن كلاً من الإصلاح الاقتصادي والإصلاح السياسي يؤتي ثماره، وبحاجة لأن يكتمل.

بفضل الإصلاح الاقتصادي لحقنا بكثير من بلدان الغرب المتقدمة في عدد من يمتلكون المليارات. ولكن والحق يقال أنهم بعكس الغربيين لم ينهبوا ثروات شعوب أخرى. كل ما في الأمر أنهم قاموا بالاستيلاء على ثروات الوطن واقتسموها مع أشقائهم الامبرياليين والصهاينة. فهل هذا عيب؟

يردد الحاقدون أن أكثر من نصف الشعب المصري تحت خط الفقر (نصفهم جياع)، وأن الكثيرين يأكلون من الزبالة، وأن الملايين قد نسوا سلعة اسمها «اللحوم»، رغم انتشار لحوم الحمير والجاموس والأبقار النافقة، واللحوم المستوردة الفاسدة، لمن يستطيع الشراء. فما العيب في ذلك؟ وهل أكل اللحوم أمر مقدس؟

يردد الحاقدون أن عشرات الملايين مصابون بأمراض قاتلة تحت وطأة تحول العلاج إلى سلعة (السرطانات–الالتهاب الكبدي الوبائي–الفشل الكلوي... الخ) من جراء إتاحة الفرصة لاستيراد الكيماويات والمبيدات والتقاوي المسرطنة من أبناء العم، مثلما هي الحال مع انهيار التعليم واتساع البطالة... الخ. كما توقفت التنمية، وأصبح كل شيء بما في ذلك الانسان ذاته مجرد سلعة تباع وتشترى، ويتناسى الحاقدون أن كل شيء متوفر لمن يستحقه، أي للنخبة الحاكمة؟ كما يتناسون أن سبب البلاء هو كثرة انجاب الفقراء الذين تسببوا في الزيادة السكانية رغم أنه لا لزوم لغالبيتهم الساحقة، بسبب أنهم يزاحمون الأكابر في الشوارع المزدحمة. والأنكى أنهم يطالبون بالخبز والحرية، ويستنكرون تصدير الغاز المصري الى أبناء العم بينما هم يتقاتلون من أجل الحصول على اسطوانة غاز بأسعار مضاعفة (القادرون منهم)... الخ.

أما الإصلاح السياسي الميمون فقد قطع شوطاً لا بأس به. تطور دستورنا بالتعديلات المشهورة بما يضمن توريث الرئاسة لـ«جمال مبارك» وإلغاء كل الحقوق الاجتماعية للكادحين، وكل ما يخص الرقابة القضائية على الانتخابات. بالمجمل إنهاء أية شبهة نزاهة في العمل السياسي.

وتجري الضغوط من أجل المزيد من التعديلات الدستورية خصوصاً فيما يتعلق بضرورة النص على أن الملكية الخاصة مصانة لا تمس وأنها الشكل الوحيد من الملكية، أياً كان المالك، مصرياً أو من أبناء العم، أو غربياً أو من أي جنسية. وإلغاء نسبة تمثيل العمال والفلاحين في كل المجالس المنتخبة، لأنها «بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» ولأنها مستعارة من النظم الشمولية ولا يوجد لها نظير في الغرب «المقدس». يتساوى في ذلك منظرو السلطة أو منظرو الفئات الوسطى الاصلاحيون (صراحة أو ضمناً).

هكذا يتكامل الإصلاح الاقتصادي مع الاصلاح السياسي، والنتيجة هي التمكين للطبقة المهيمنة وسادتهم في استمرار السيطرة.

تحت وطأة المظاهرات والاعتصامات والاحتجاجات اليومية، طالب أعضاء من حزب الجماعة الحاكمة بإطلاق الرصاص على المتظاهرين. وإزاء الهجوم المضاد على هؤلاء الذين أفصحوا عن اكتمال جنين «الفاشية» في أحشاء السلطة المأزومة، سارع بعض أقطابها لاستنكار هذه التصريحات التي جرت تحت قبة البرلمان. وازداد الترويج للسماح بتوسيع حرية «النباح» دون أي عدول عما تكرس من واقع طبقي– اجتماعي. أي السماح في أضيق الحدود للتنفيس عن الغضب، وهو ما يتبناه أشخاص من الطبقة الحاكمة والاصلاحيون بقصد التعتيم على الفاشية الوليدة.

المرعب هو سريان نهج المقاومة المنتصر الذي تبناه حزب الله ومنظمات وقوى المقاومة الفلسطينية، والذي يمثل خطراً داهماً على برنامج السلطة الحاكمة في مصر.

## خطر المقاومة على غالبية النخب العربية الحاكمة

تشكل المقاومة نهجاً وممارسة خطراً داهماً على الأوضاع العربية المزرية. لقد رأت النظم الحاكمة، وأفصح بعضها بلا خجل أن حرب يوليو ٢٠٠٦ كانت مغامرة وخطيئة لا تغتفر ارتكبها حزب الله. فقد تسببت– في حدها الأدنى– في نزول ثلث أبناء العم في فلسطين المحتلة إلى المخابئ لأكثر من شهر، وفرَّ الكثيرون إلى الجنوب أو إلى الخارج. وتسببت في تحطيم هيبة هذا الكيان وقادته، الذين رأيناهم على الشاشات يهرعون مذعورين كالجرذان إلى الخنادق تحت قصف أبطال المقاومة. وهو ما أصاب غالبية نظم الحكم العربية بالهلع. أما– في حده الأقصى– فقد أوقف تنفيذ مشروع «الشرق الأوسط الجديد» الذي يضمن السيادة للصهاينة على الاقليم كله، وأعاد بعث مطالب «إزالة إسرائيل» مرة أخرى بعد أن استراح منه الامبرياليون والصهاينة وعملاؤهم المحليون. ثم كان صمود المقاومة الباسلة في غزة المحاصرة رغم قلة الإمكانيات، ولم يتمكن العدو من تحقيق أهدافه.

هنا مكمن الخطر الذي تواجهه الامبريالية والصهيونية، وقبلهما عملاؤهم المحليون الذين يعيشون تحت رعايتهم وحمايتهم.

## «جريمة» مشرفة.. وعقاب العار

إذا كانت السلطة الحاكمة ترى في المقاومة جريمة، فإننا على العكس نراها شرفاً نعتز به. وإذا كانت ترى أن العقوبة حق، فإننا نعتبرها وصمة عار. لأن المقاومة هى أسطع وأشرف الظواهر العظيمة في عالمنا. والمقاومون هم شرفنا وعزنا وضمان بقاء أوطاننا وشعوبنا. لن نستغرق في الحديث عن الحكم ومدى قسوته، لكن الأهم هو النضال ضد النهج المعادي للمقاومة، وإيقاف مطاردة المقاومين، وضرورة إعادة مصر إلى دورها التاريخي كملاذ لكل المناضلين.

**ربما يكون الأكثر مناسبة لختام المقال، هو بيت من الشعر لأمير الشعراء أحمد شوقي:**

**وللحرية الحمراء باب**
**بكل يد مضرجة يدق**

■■

# أغلبية دول العالم تتحدى معاملة «إسرائيل» كبقرة مقدسة

**ثاليف دين**

كان من المتوقع منذ البداية أن إسرائيل ستكون مستهدفة في مؤتمر الأمم المتحدة لمراجعة معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية الجاري حالياً ف ٣-٢٨ مايو في نيويورك. وهذا هو ما حدث بالفعل، فقد تحدت ١١٨ من أصل ١٩٢ دولة عضو في المنظمة الأممية، المعاملة التي تمتعت بها إسرائيل حتى الآن كما لو كانت بقرة مقدسة سياسياً.

فالمعروف أن الولايات المتحدة والقوى الغربية تحاشت دائماً توجيه أي انتقادات علنية لإسرائيل، وهي الدولة الوحيدة التي تملك أسلحة ذرية في الشرق الأوسط.

لكن بداية مؤتمر حظر الانتشار النووي الحالي سجلت إرادة أغلبية ساحقة مكونة من ١١٨ من دول العالم في تحدي الدولة العبرية للكشف عن برنامج أسلحتها الذرية والانضمام إلى معاهدة حظر انتشار السلاح النووي التي يراجعها المؤتمر الحالي.

فقد خاطب وزير خارجية إندونيسيا، مارتي ناتاليغاوا، المؤتمر باسم حركة عدم الانحياز التي تضم ١١٨ دولة، مؤكداً أن رفض إسرائيل الانضمام إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية يتسبب في تعريض الدول التي لا تملك أسلحة ذرية في الشرق الأوسط، وبصورة مستمرة، إلى الخطر النووي القادم من الدولة الوحيدة التي تحوز أسلحة الدمار الشامل هذه.

وحذر الوزير نيابة عن دول عدم الانحياز من أن إسرائيل تتسبب في مخاطر أخرى متعلقة بوضع «المنشآت والأنشطة النووية غير الخاضعة للضمانات (بل) ولمعايير سلامة مجهولة». وما هو أسوأ من ذلك، فقد أججت إسرائيل خطر اندلاع سباق تسلح مصحوب بأخطار إقليمية وعالمية كارثية، وفقا للوزير الذي تحدث باسم ١١٨ دولة.

ثم شدد على أن هذا الوضع «غير محتمل» لأنه يحول أيضاً دون تنفيذ قرار عام ١٩٩٥ الذي يدعو إلى إنشاء منطقة خالية من الأسلحة الذرية في الشرق الأوسط.

ومن المقرر أن يدرس مؤتمر الأمم المتحدة الجاري لمراجعة معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية– والذي ينعقد كل خمس سنوات– جوانب النجاح والفشل في تنفيذ هذه المعاهدة الدولية التي تهدف إلى وقف انتشار هذه الأسلحة، بل وربما إلى تحقيق الغاية الأسمى بإزالتها تماماً من جميع الترسانات العسكرية في العالم.

وحتى الآن انضمت لهذه المعاهدة، التي بدأ التوقيع عليها في يوليو عام ١٩٦٨، مجموع ١٨٩ دولة بما فيها القوى الذرية المعلنة والأعضاء الدائمون في مجلس الأمن، أي الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، الصين، وروسيا.

أما القوى النووية الثلاث غير المعلنة (الهند، باكستان، إسرائيل) فلم تنضم للمعاهدة.

وكانت كوريا الشمالية قد التحقت بها لكنها خرقتها ثم انسحبت منها لاحقاً.

وكان مؤتمر مراجعة معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية شدد في دورته في عام ٢٠٠٠ على ضرورة انضمام إسرائيل إليها وإخضاع برنامجها الذري لنظام الضمانات الشاملة للوكالة الدولية للطاقة الذرية. لكن إسرائيل دأبت بانتظام على رفض هذا المطلب.

أما الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون فقد أعلن في افتتاح المؤتمر أن قضية نزع السلاح وحظر انتشار الأسلحة النووية تأتي «على رأس الأولويات»، وأشار إلى دولتين بالاسم: إيران وكوريا الشمالية.

بيد أن الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة امتنع عن الإشارة إلى إسرائيل والهند وباكستان، بل اكتفي بالقول «أحث الدول التي تقع حالياً خارج إطار نظام المعاهدة على الانضمام إليها في أقرب وقت»، ولكن دون تسمية أي من هذه الدول الثلاث.

الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، رئيس الدولة الوحيد المشارك في المؤتمر، قال إن الوظيفة الوحيدة للأسلحة الذرية هي إفناء البشر وتدمير البيئة، ذلك أن الإشعاعات التي تصدر عنها سوف تضر بالأجيال القادمة بل وستستمر تداعياتها السلبية على مدى قرون طويلة.

وشدد رئيس إيران المتهمة بالسعي لإنتاج أسلحة ذرية على أن «القنبلة النووية هي نار على الإنسانية أكثر منها سلاح للدفاع»، وأن «حيازة القنابل النووية ليست مصدراً للفخر، بل هو مثير للاشمئزاز والعار». وأضاف أن من المخزي أكثر فأكثر هو «التهديد باستخدام مثل هذه الأسلحة، بل واستخدامها، وهو ما لا يمكن مقارنته بأي جريمة ارتكبت على مدى التاريخ».

ثم اتهم إسرائيل بتخزين مئات الرؤوس النووية وبشن حروب عديدة كثيرة في الشرق الأوسط واستمرارها في تهديد شعوب المنطقة «بالرعب والغزو»، مشيراً إلى أن إسرائيل «تتمتع بالدعم غير المشروط من الولايات المتحدة وحلفائها بل وتتلقى المساعدات اللازمة لتطوير برنامج أسلحتها النووية».

كما انتقد أحمدي نجاد الوكالة الدولية للطاقة الذرية لفشلها سواء في نزع الأسلحة النووية أو في منع انتشارها.

فأجابت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون قائلة إن إيران «تفعل ما في وسعها لصرف الانتباه عن سجلها ومحاولة التنصل من المحاسبة»، وأنها «تحدت مجلس الأمن والوكالة الدولية للطاقة الذرية ووضعت مستقبل نظام حظر الانتشار النووي في خطر».

والمعروف أن الرئيس الأمريكي باراك أوباما تلقى سؤالاً عن برنامج الأسلحة الذرية الإسرائيلي أثناء قمة الأمن النووي في واشنطن في أبريل الماضي. لكنه تحاشى السؤال مصرحاً لوسائل الإعلام أنه «فيما يخص إسرائيل، لن أعلق على برنامجها» للأسلحة النووية.

ثم قال «ما سأفعله هو الإشارة إلى حقيقة أننا دأبنا على حث جميع الدول على الانضمام لعضوية معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، ولا يوجد أي تناقض في هذا». وأضاف «إذاً عندما نتحدث عن إسرائيل أو عن أي دولة أخرى، فإننا نعتقد أنه من المهم الانضمام للمعاهدة».

ثم سارع رئيس الولايات المتحدة للقول «هذا ليس بجديد، فقد كان الموقف الثابت للحكومة الأمريكية حتى قبل إدارتي»!!

**نشرة (آي بي إس)**

# التشاركية بين القطاعين العام والخاص.. وفيروس الخصخصة!



وائل جمال

**«تروجان هورس»، أو حصان طروادة، هو فيروس ربما وجدته يوماً على جهاز الكمبيوتر الخاص بك. وفيروس «تروجان هورس» هو عبارة عن شفرة صغيرة يتم تحميلها لبرنامج رئيسي من البرامج ذات الشعبية العالية، ويقوم ببعض المهام الخفية، غالباً ما تتركز على إضعاف قوى الدفاع لدى الضحية أو تقويضها ليسهل اختراق جهازه وسرقة بياناته، بحسب تعريفه على الموسوعة الحرة «ويكيبيديا».**

وفي أدبيات الاقتصاد فإن ما يسمى المشاركة بين القطاعين العام والخاص هو أحد الأساليب المعتمدة للخصخصة، لكنه أسلوب خاص يتميز باستمرار وجود الدولة «بصورة ما» في النشاط الاقتصادي، الذي عادة ما يتجاوز النطاق الإنتاجي العادي إلى المرافق والخدمات العامة ومشروعات البنية الأساسية، وهو بالتالي أكثر المراحل تقدماً وعمقا في الإيمان بالقدرة والدور الاقتصاديين للقطاع الخاص.

لكن الأهم من هذا هو، كما يشير التشبيه بفيروس حصان طروادة، الذي أقتبسه من إحدى الدراسات المهمة عن الآثار الاجتماعية لهذه السياسة، هو ما تستدعيه التسمية من وقع إيجابي بعيداً عن كلمة الخصخصة المكروهة بالنسبة لكثيرين.

وفي مصر ظهرت الكلمة في خطاب الوزراء وقيادات الحزب الوطني مراراً وتكراراً على مدى السنوات القليلة الماضية، خاصة بعد أن أصبحت أشكال الخصخصة المباشرة تواجه بمعارضة كبيرة تكاد توقف بيع القليل الباقي من محفظة الدولة، وبالذات بعد أن جربت الدولة أسلوباً جديداً يتميز بقدرته على كسب التأييد الشعبي، لما ينطوي عليه من توزيع للأصول على المواطنين، هو مشروع الصكوك الشعبية، فلم يصمد إلا قليلاً أمام موجات الرفض من المعارضة وداخل الحزب الوطني على حد سواء. ولم يبق هكذا أمام الحكومة وحزبها إلا المشاركة بين القطاعين العام والخاص.

ولم تقترن الخصخصة في أية لحظة بالمشاركة بين القطاعين العام والخاص في الإشارات المتكررة من الوزراء ولا في النقاش التحضيري المحدود لمشروع القانون، الذي أقر مؤخراً من حيث المبدأ وفى هدوء شديد من مجلس الشعب. وإنما ارتبطت الفكرة بالأساس بعدم قدرة الدولة على تمويل المشروعات التنموية المطلوبة والدور الاجتماعي المطلوب من القطاع الخاص في التنمية وخدمة المجتمع..الخ.

وهذا التبرير كلاسيكي فيما يتعلق بهذا الأسلوب من الخصخصة. يضاف إليه تبرير آخر تبوأ مكاناً متأخراً في خطاب الحكومة عن مشروع القانون: هو أن كفاءة القطاع الخاص أعلى من الدولة في إدارة النشاط الاقتصادي. وظهر هذا المنطق في مقال نادر كتبه رئيس لجنة الخطة والموازنة أحمد عز مؤخراً في «المصري اليوم»، اعتبر فيه أن المنطلق الأول وراء القانون هو «تغير دور الدولة». ولا تدع خيالك يذهب بعيداً. فتغير دور الدولة هنا هو معكوس ما يحدث في العالم حالياً، من عودة للدولة التي تؤمم البنوك والمؤسسات الصناعية الكبرى في الولايات المتحدة وغيرها بعدما أسقطها القطاع الخاص مهدداً بمخاطر نظامية تهدد الاقتصاد المالي والإنتاجي كله. لكن عز يعيد علينا ما سمعناه مراراً وصار أيقونة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أوائل التسعينيات من القرن الماضي: «دور الدولة يتحول من اللاعب إلى الحَكَم.. الحَكَم في هذه الأحوال تكون لديه سلطة المنح والمنع.. التأكد من سلامة المنافسة.. الأهم من ذلك، تكون له سلطة إظهار الكروت الصفراء مع أي تقاعس.. والحمراء إذا تم الإخلال بقواعد اللعب»، يقول عز.

للأسف هناك فجوة زمنية أو ما يسمى بالإنجليزية Time Lag في منطلقات رئيس لجنة الخطة. فقد كان هو السياسة المتبعة والموقف النهائي قبل ٢٠ عاماً. لكن وأن تقوله بعد الأزمة المالية العالمية، وبعد أن صار أمثال بول كروجمان المعادون لهذا التقدير، يحصلون على جائزة نوبل في الاقتصاد، وبعد أن صارت الحكومات جميعاً تعيد النظر في سياسات «إجماع واشنطن»، فهو الغرابة بعينها. نعم دور الدولة تغير في السنوات الثلاث الأخيرة. لكنه تغير في الاتجاه العكسي.

ولربما كانت خصخصة الخدمات والمرافق ومنها المياه والكهرباء، وهو ما تعدنا مشروعات المشاركة بنسخة منه، سبباً أساسياً في تراجع شعبية الخصخصة أكاديمياً وشعبياً. وتكفي هنا الإشارة إلى عملية دخول القطاع الخاص للسكك الحديدية في بريطانيا. فقد أثبت القطاع الخاص البريطاني أنه غير قادر على توفير التمويل والاستثمارات طويلة المدى، التي يقول رئيس لجنة الخطة في مقاله إنها لا تؤتى ثمارها إلا على المدى الطويل. وبرغم رفع الأسعار على المستهلكين تراجعت الخدمة وزادت حوادث الطرق. ثم اضطرت حكومة بلير في النهاية إلى ضخ مليارات من الجنيه الإسترليني سنوياً كاستثمارات. أما عن دخول القطاع الخاص في مياه الشرب فحدث ولا حرج ولها مقام آخر قريب.

لكن وجود الدولة هنا من خلال ما يسمى بالشراكة مهم جداً. لأن الدولة، كما فعل بلير، هي المسؤولة في النهاية عن ضمان الخدمات الأساسية، وفي الوقت نفسه ستكون مسؤولة عن ضمان الأرباح للقطاع الخاص.

تتحول الدولة في مثل هذه المشروعات مما يسمى بالملجأ الأخير للإقراض Lender of Last Resort على طريقة جنرال موتورز وفاني ماي إلى دعامة مستمرة لأرباح القطاع الخاص، الكسول والمتشكك، الذي ستنفتح أمامه دون معارك شبيهة بعمر أفندي، «طاقة قدر» في أسواق تشمل كل السكان في سلع قد لا يستطيع أحد الاستغناء عنها بلا مخاطر تقريباً.

في الأسطورة دام حصار الإغريق لمدينة طروادة عشر سنوات، فابتدع الإغريق الحيلة: حصاناً خشبياً ضخماً أجوف مليئاً بالمحاربين الإغريق بقيادة أوديسيوس، أما بقية الجيش فظهر كأنه رحل بينما في الواقع كان يختبئ وراء تيندوس، وقبل الطرواديون الحصان على أنه عرض سلام. وقام جاسوس إغريقي، اسمه سينون، بإقناع الطرواديين بأن الحصان هدية، فأمر الملك بإدخاله إلى المدينة في احتفال كبير.

احتفل الطرواديون برفع الحصار وابتهجوا، وعندما خرج الإغريق من الحصان داخل المدينة في الليل، كان السكان في حالة سكر، ففتح المحاربون الإغريق بوابات المدينة للسماح لبقية الجيش بدخولها، فنهبت المدينة بلا رحمة، وقتل كل الرجال، وأخذ كل النساء والأطفال عبيداً. ويفعل فيروس «تروجان هورس» فعلاً مماثلاً في أجهزة الكمبيوتر..فحذار.

**«شبكة التغيير / موقع الشروق الجديد»**

# أيار الساخن: العيد.. الأزمة والحرب!

◄ **عبادة بوظو**



تشير متابعة الفعاليات والتظاهرات التي أقامتها الطبقة العاملة والتنظيمات النقابية الحية في شوارع عواصم العالم في الأول من أيار لهذا العام إلى أن إحياء هذه القوى لعيد العمال العالمي لم يكن «ذكرى والسلام» بل هو علامة ومؤشر لما قد تتطور إليه مآلات الأحداث على خلفية الأزمة الرأسمالية العالمية التي تضرب في المراكز الامبريالية والأطراف على حد سواء، وإن بشكل متفاوت.

العنوان الأبرز لهذا المؤشر، الذي يأتي استكمالاً لموجة الإضرابات العمالية الاحتجاجية التي تلف العالم حتى قبل الذكرى/ العيد، يقول: إن الطبقة العاملة لن تقبل أن يجري تحميلها تبعات الأزمة..!

ولهذا السبب ربما أخذ «العيد» في ظل الأزمة طابع التصعيد في شكل التظاهرات العمالية في أرجاء المعمورة مع كثافة في الحضور لم يستطع الإعلام التغاضي عنها. «الأحياء» من عمال العالم شددوا على مطالبهم في حماية مكتسباتهم الاجتماعية تحت موجات من ألوان الرايات الحمراء في دول آسيا، ومعها صور ضخمة للينين وستالين في روسيا، وفوقها قذف لزجاجات المولوتوف في اليونان، بوصفها أحد البلدان التي تتهدد طبقاتها الشعبية الإجراءات الليبرالية الموغلة في توحشها للخروج من الأزمة.

وربما يستحق الأول من أيار في اليونان توقفاً مطولاً نسبياً لخصوصية الحالة من جهة، ودورها في لوحة الأزمة عموماً من جهة ثانية، لتبقى في كل الأحوال انعكاساً لأبشع تجليات الأزمة ومحاولات الرأسمالية الحاكمة الخروج منها أو التنصل من مسؤولياتها على الأقل ما استدعى من المتظاهرين/ المحتجين/ المتضررين تنظيم تظاهراتهم لتأخذ طابعاً شبه عسكري، كراً وفراً منظماً، في مواجهة الشرطة التي تمثل واجهة لطيف اصطفاف كل القوى والأدوات الرأسمالية، من حكومات مراكز القرار والنفوذ في الاتحاد الأوربي وصندوق النقد والبنك الدوليين في محاولاتهم مساعدة حكومة اليمين اليوناني الحاكم في تجاوز أزمة المديونية عبر تقديم مساعدات مشروطة بسلسلة إجراءات تقشفية جديدة غير مسبوقة في استكلابها على مصالح السواد الأعظم من اليونانيين: رفع ضريبة المبيعات حتى ٢٣٪، تخفيض الإنفاق الحكومي على الصحة والتعليم، منع التوظيف في مرافق القطاع العام ومؤسساته، رفع السن التقاعدية إلى ٦٧ سنة، والأنكى عدم دفع رواتب المتقاعدين لمدة شهرين، أي دفع الناس الذين يفترض تكريمهم في أرذل العمر نحو الموت جوعاً أو الخروج للشوارع، وتحضير الأرضية لمختلف صنوف الفوضى الاجتماعية والجريمة الفردية، في ظل مواصلة قمع الاحتجاجات الجماعية السلمية أو الفوضوية، التي لا يجري في الوقت ذاته الاستماع إليها.

هذا الاستعصاء سيفضي إلى لا شيء، سوى انهيار البنية اليونانية، وسط تخوف الدائنين ومقدمي «المساعدات» من انعكاسات ذلك على دواخل بلدانهم، لأنها ستكون مساعدات عقيمة، بسبب استعصاء الأزمة ذاتها. وسيتحول الأمر إلى كرة ثلج صيفية حارة تهدد أولاً اسبانيا والبرتغال ولكنها قد تسحب معها، الوحدة الأوربية ذاتها، لتضعها على المحك، أقلها في بعدها النقدي، كإجراءات حمائية قد تلجأ لها الاقتصادات الأوربية، ولاسيما مع الأنباء عن انهيار البورصات والانخفاض المريع في سعر صرف اليورو مقابل الدولار.

وفي الإطار العام لمفاعيل الأزمة يعني الانتهاء المتسارع باطراد لمكامن الحلول «التنفيسية» اكتمال تشكل مكونات الأرضية المؤهلة لتفجير صراع ما، بوصفه تعبيراً أخيراً عن أعلى درجة استعصاء الأزمة عموماً.

ومن هنا يتأتى أحد جوانب فهم التصعيد في المنطقة العربية لتكون المرشحة رقم واحد كبؤرة التفجير المنشود، ليتبدى هذا التصاعد المطرد في شد الحبال، وتبادل رسائل التهديدات المباشرة وغير المباشرة مع واشنطن وتل أبيب، ونسج الأكاذيب حول سورية ولبنان وإيران، ونشر مختلف السيناريوهات والحديث عن مختلف الاستعدادات العسكرية، وإجراء المناورات وتحضير الرأي العام لترقب ما قد يكون أكثر سخونة من أيار ٢٠١٠ في أشهر صيف هذا العام، وربما في الأسابيع المقبلة منه، لا أكثر.

o.bozo@kassioun.org

## من نتائج احتلال العراق

# انتحار، اختطاف، دعارة، واتجار بالبشر..



**ترجمة: د. عبدالوهاب حميد رشيد**

أصدر «مكتب وزارة الخارجية الأمريكية للديمقراطية، حقوق الإنسان، والعمل»، مؤخراً تقريراً عن حالة حقوق الإنسان في العراق. تضمن التقرير كذلك قسماً خاصاً عن الجريمة. وكما نُشر سابقاً، فمع هبوط «موجة العنف» في العراق، تصبح الجريمة القضية الأكثر إلحاحاً في البلاد. وفي الحقيقة فإن المشكلتين (العنف والجريمة) مترابطتان بشكل مباشر. كثرة من المجرمين انضموا إلى المتمردين والمليشيات، وحالياً كلاهما في حالة انحسار. إنها طريقة ممارسة العديد من رجال المليشيات والمتمردين بالانضمام إلى الخارجين على القانون لتوفير سبل عيشهم.. (المقصود بالمتمردين وفق لغة أجهزة الاحتلال هم عناصر المقاومة.. وعادة ما تخلط هذه الأجهزة بين عناصر المقاومة الوطنية العراقية وبين المجرمين بمختلف أشكالهم بغية خلط الأوراق- نزع ثقة الناس بالمقاومة- والتغطية على جهودهم لإنهاء الاحتلال.- المترجم).. لاحظت وزارة الخارجية نمو عدد من المشاكل في البلاد تتراوح بين حوادث الاختطاف لغاية الاتجار بالأعضاء البشرية.

حوادث الاختطاف كانت وما زالت تشكل التهديد الرئيس للناس في العراق. بدأت عمليات الاختطاف مبكراً وانتشرت سريعاً. ووجهت الاتهامات لقوات المليشيات، علاوة على أجهزة الأمن، ومنظمات الجريمة التي خلقها الاحتلال. وتهدف حوادث الاختطاف إلى القتل وربما الفدية. كما أن اختطاف الأطفال هو الأكثر شيوعاً. وهناك أقسام في بغداد لديها صور لأطفال مفقودين وضعت في الشوارع. لكن أغلب حالات الاختطاف هذه لا تصل إلى السلطات، جزئياً بسبب الخوف من قتل الضحية، وجزئياً لعدم ثقة الناس بالسلطة.

يتحول العراق أيضاً إلى مركز لتهريب وتجارة الرقيق، بما فيه الأبيض، والأعضاء البشرية، والأطفال الرضع، وعمال غير شرعيين ضمن دول المنطقة(...) يُضاف إلى ذلك أيضاً، قصص عن ملاجئ أيتام تمارس بيع الأطفال، وعصابات تبيع الأولاد داخل العراق وخارجه بقصد الجنس. في شباط ٢٠١٠ اعتقلت وزارة الصحة حلقتين في مستشفيات بغداد وكركوك نظمتها ممرضات لاختطاف وبيع أطفال رضع في الخارج. سجلت وزارة الصحة كذلك حالات تهريب الأعضاء البشرية. كما ويتم جلب عمال غير شرعيين من جورجيا، الهند، باكستان، اندونيسيا، نيبال، الفلبين، أوغندا، وسريلانكا.

على مدى ثلاثين عاماً، دخل العراق في الحروب المتلاحقة، والعقوبات، ومؤخراً «الحرب الأهلية».. ومنذ العام ٢٠٠٩ بلغ العنف حدّه الأدنى منذ الاحتلال الأمريكي.. حالياً، يواجه العراقيون تصاعداً في الجريمة وبصورة يومية، يقوم بها: انتحاريون، المليشيات، قوات الأمن، وآخرون. إن تصاعد الاختطاف والتهريب علامات على مجتمع فقير. الحروب والعقوبات دمرت الاقتصاد العراقي. تشير التقديرات إلى أن ٥١٪ من القوى العاملة العراقية أما عاطلة تماماً أو جزئياً. وهذه البطالة ضربت بقسوة الشباب ١٥-٢٩ سنة. إنهم يشكلون ٥٧٪ من جملة العاطلين عن العمل، ويدخل سن العمل ٢٥٠ ألف باحث جديد عن العمل سنوياً. أضف إلى ذلك الحقيقة القائمة المتمثلة بأن ٢٥٪ من السكان يعيشون تحت خط الفقر (خط الفقر يُعادل ٢ دولار للفرد يومياً). وهذا يفسر لماذا يكون ممكناً جر كثير من الشباب باتجاه الممارسات غير القانونية أو وقوع الكثيرين ضحايا للجرائم الحاصلة. وإلى أن يتمكن العراق من توفير فرص استخدام طيبة مثمرة لأهله، ويستفاد من الاستخدام الملائم لثروته النفطية الهائلة، فإنه من المتوقع أن تبقى الجريمة مشكلة ضاغطة على مستوى البلاد.

**«شبكة اوروك»**

# أوسمة المجد وأكاليل الغار في عيد خلاص البشرية



يحتفل العالم عموماً، وروسيا مع غالبية دول الاتحاد السوفييتي سابقاً خصوصاً، في التاسع من أيار بعيد النصر على النازية الذي يعود تاريخه إلى عام ١٩٤٥ حين بدأت في ضواحي برلين في ٨ أيار عند الساعة ٢٢ والدقيقة ٤٣ حسب التوقيت المحلي مراسم التوقيع على وثيقة استسلام ألمانيا النازية التي كانت في حالة حرب مع ٥٤ بلداً في وقت واحد.

أما في الغرب فيجري الاحتفال بعيد النصر على ألمانيا النازية في ٨ أيار، إذ يؤخذ بعين الاعتبار وجود فارق زمني يقدر بساعتين بين برلين وموسكو، حيث وُقعت وثيقة الاستسلام في ألمانيا حين كان يوم ٩ أيار قد حل في موسكو.

لقد أسهم الاتحاد السوفيتي بالقسط الحاسم في هزيمة الفاشية، ويعترف المؤرخون بأنه لولا البطولة الفائقة للشعب السوفيتي لما أصبح ممكناً تحرير أوربا من العبودية النازية والفاشية، وقد حاربت البلاد على مدى أربعة أعوام طويلة ليس في الجبهات فقط بل وفي المؤخرة أيضاً حيث وقف الشيوخ والنساء والأطفال أمام ماكينات التشغيل في ورش المصانع. ولحق الدمار الكثير من مدن وقرى البلاد. وفقد الاتحاد السوفيتي أكثر من ٢٦ مليون شهيد من عسكريين ومدنيين.

وكان يحتفل بعيد النصر في الاتحاد السوفيتي وفي روسيا ليس كبقية الأعياد، حيث كان الناس في الشوارع يقدمون التهاني لبعضهم البعض ويتعانقون ويتبادلون القبلات وينتحبون، وفي ٩ أيار أطلقت بموسكو الألعاب النارية تكريما لعيد النصر بشكل لم يعرف له مثيل في تاريخ الاتحاد السوفيتي، وأقيم أول استعراض عسكري بمناسبة النصر في ٢٢ حزيران عام ١٩٤٥ حيث ألقى الجنود المنتصرون أعلام العدو المهزوم في الساحة الحمراء عند أسوار الكرملين.

لكن منذ عام ١٩٤٨ وطيلة ٧ أعوام لم يجر الاحتفال بعيد النصر بسبب انشغال البلاد في أعمار ما دمرته الحرب. وفي عام ١٩٦٥ أصبح يوم ٩ أيار يوم عطلة رسمية مجدداً، وتم استئناف الاستعراضات العسكرية وتكريم المحاربين القدامى وإطلاق الألعاب النارية.

في روسيا الحديثة يعتبر عيد النصر العيد الوحيد الذي لم يتغير اسمه منذ أيام وجود الاتحاد السوفيتي، ويمثل هذا العيد بالنسبة إلى أبناء روسيا يوم بهجة وسرور، وكذلك يوم الإعراب عن الامتنان للمحاربين القدامى الذين ذادوا عن استقلال البلاد وخلاص البشرية في الأزمنة العصيبة. وفي الأعوام الأخيرة ظهر تقليد شيق حيث يقوم الناس عشية العيد بتزيين ملابسهم وسياراتهم بشريط وسام غيورغي ذي اللونين الأسود والبرتقالي، حيث يرمز اللون الأسود إلى الدخان والبرتقالي إلى اللهب، وكان هذا الشريط يزين وسام المجد في أعوام الحرب الوطنية العظمى.

# الليبراليون الجدد يخونون الذاكرة..

# أقاليم «غازبروم» و«روس نفط» بدلاً من روسيا والاتحاد السوفييتي..

◄ كيريل بينيديكتَف (مجلة رجال الأعمال الروس)
ترجمة د. إبراهيم إستنبولي

**قرر حكام روسيا الاحتفال بالذكرى الستين لرفع الحصار عن مدينة لينينغراد بطريقة فريدة من نوعها، ففي موسكو راحوا يهدمون قرية ريتشنيك، حيث تقف هناك إلى جانب الفيلات التي يبلغ سعرها ملايين الدولارات، منازل خشبية تعود للعجزة الذين عاشوا الحصار. وفي لينينغراد (بطرسبورغ حاليا)، قاموا أثناء تشييد «مركز أوختا» بتفكيك تمثال على شرف أبطال الحصار.**

**إذا كان شكسبير على حق في قوله بأن العالم بأكمله مجرد مسرح، والناس هم ممثلون فيه، فإنه يصبح صعباً علينا أن نتخلص من الشعور بأننا نمثّل في مسرحية مكتوبة خصيصاً لمسرح اللامعقول، فهذه هي الكاميرات التلفزيونية تصوِّر لنا حفارات صفراء ماركة «كوماتسو»، وهي تدك جدران المنازل الفخمة المؤلفة من طابقين والباهظة الثمن، منطلقة في هذا من اعتمادها على الغريزة الطبقية لمشاهدي التلفزيون العاديين. وها هي وجوه العاملين على الحفارات والبلدوزرات منتشية ومفعمة بالإلهام. لدرجة يمكن أن نتخيل كما لو أنهم يستلهمون المبدأ القديم: «السلم للأكواخ، والحرب على القصور».**



> **قد يستطيع الإنسان أن يحيا بلا ذاكرة.. لكنها ستكون عندئذ مجرد حياة عادية وبسيطة، إذ سيكون بمقدوره أن يأكل وأن يشرب، وربما أن يتكاثر، لكن بلاداً من دون ذاكرة يكون مصيرها الزوال.**

### المحاربون القدماء

لكن الحقيقة تكمن في غير ذلك، لأنهم سوف ينسفون الأكواخ أيضاً – ولو بعد حين – ودون كاميرات تلفزيونية. وأحد تلك الأكواخ يعود للعجوز ذات الثمانين عاماً إيلينا ستيبا. ففي عام ١٩٥٦ كانوا قد أعطوها مع زوجها، المحارب القديم، قطعة أرض صغيرة عند مصب نهر موسكو.. بداية أنشأ الزوجان هناك حاكورة وحديقة صغيرة، ثم شيدا بيتاً من طابق واحد لفصل الصيف.

وثمة الكثير من مثل هذه الأكواخ والبيوت على ضفة النهر، وما زال يعيش في البعض منها أولئك الذين حصلوا عليها في عام ١٩٥٦، ومن بينهم ٨٤ من المحاربين القدماء في الحرب الوطنية العظمى. أما عدد الذين عايشوا الحصار فأنا لا أعرف بصدق، لكن إيلنيا ستيبا وزوجها عاشا الحصار بكل تأكيد.

عندما كانا شابين (إيلينا كانت فتية جداً)، كانا من بين أولئك الذين راحوا يقيمون المتاريس في شوارع لينينغراد، تحسباً لاحتمال أن يتمكن الفاشيون من الدخول إلى المدينة. أما الآن فإن إيلينا وزوجها يخرجان إلى المتاريس التي أقامها أهالي البلدة في وجه المحضرين من المحكمة وضد عناصر القوات الخاصة «OMON» والبلدوزرات، ليس لحماية القرية من الفاشيين، وإنما لحمايتها من السلطات الروسية.

يمكننا فقط أن نتخيل كيف يمكن أن نظر إلى هذا الواقع المشوَّه أولئك الذين عاشوا واحدة من أكثر مآسي القرن العشرين بشاعة.

وللعلم فقط، في السابع والعشرين من كانون الثاني الفائت – أي يوم الاحتفال بذكرى رفع الحصار – توقفوا مؤقتاً عن هدم البيوت في القرية.. كنوع من التقدير للمحاربين القدماء، لكنهم عادوا واستأنفوا الهدم في اليوم التالي، دون أي حرج.

وأما في بطرسبورغ فالأمر أكثر فظاعة. فهناك كما هو معروف، يقوم كارتيل «غازبروم» ببناء ناطحة سحاب ضخمة، وقد أطلق الناس عليها على الفور لقب «بيت الذُرة»، (وقد سنحت لي الفرصة لأن أسمع تسميات لاذعة بدرجة أكبر بكثير). يجري بناء الناطحة في حي «أوختا»، الصناعي والكئيب بما فيه الكفاية، حيث كان يقوم سابقاً مصنع المدينة. وكان قد أقيم على أرض المصنع تمثال متواضع – عبارة عن مسلّة مصنوعة من حديد السفن الحربية مع لوحة رخامية مثبتة عليها- وقد حفرت على اللوحة الرخامية العبارة التالية:

«المجد للأبطال، عمال المصنع الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل شرف وحرية واستقلال الوطن في الحرب الوطنية العظمى ١٩٤١ – ١٩٤٥، خلال سنوات الحصار القاسية لمدينة لينينغراد. لتبقى ذكراهم حية في قلوبنا وفي قلوب أحفادنا».

كانت المسّلة في السنوات الأخيرة مهملة وملقاة على الأرض، لأن المصنع اشتراه في عام ٢٠٠٧ بعض المستثمرين الذين لم يكن من أولوياتهم الاكتراث بالتماثيل. وعندما نوت شركة «غازبروم» تشييد ناطحتها «بيت الذُرة»، قامت بتسليم اللوحة الرخامية إلى متحف المدينة للآثار (ومعها تمثال لينين الذي كان قائماً في باحة المصنع). وقد تمت الإشارة في وثيقة التسليم بوضوح لا لُبسَ فيه: «لا يوجد أي اتفاق أو وعد بإعادة نصب التماثيل المذكورة بعد الانتهاء من تشييد المركز الخدمي الاجتماعي».

### ضحايا الحصار

لم يكن أحد يعلم بذلك لبعض الوقت، لأنهم قاموا بذلك بعيداً عن الأضواء وبطريقة سرية، ولكن الرأي العام عرف مؤخراً بقصة التمثال، فراح أهالي لينينغراد ممن عايشوا الحصار يطلبون مناصرة القضاء. لكن المحكمة قررت اعتبار المسلّة جزءاً من التراث الثقافي (العاديات)، وردّت طلب ضحايا الحصار. إلا أن الموضوع لاقى صدى واسعاً بعد أن وجّه النائب في مجلس المدينة عن الحزب الشيوعي الروسي سيرغي مالكوف استجواباً رسمياً إلى محافظ بطرسبورغ ماتفيينكو. ومالكوف يعتقد أنه من المحتمل أن توجد في المكان الذي كان يقوم فيه التمثال رفات العمال الذين استشهدوا أثناء قصف المدينة بالقنابل. فإذا كان هذا الأمر حقيقياً، وعلى الأرجح أنه حقيقي، لأن دفن الإنسان في لينينغراد تلك الأيام لم يكن بالأمر السهل (ففي ذلك الشتاء القاسي من عام ١٩٤١ كانت جميع المداخل إلى بوابة مقبرة سيرافيموف في المدينة مملوءة بالجثث المتجمدة)، فهذا يعني أن ناطحة السحاب «مركز أوختا» سوف ينهض على الهياكل العظمية بالمعنى الحرفي للكلمة.

لقد تعهّد المكتب الإعلامي لـ«مركز أوختا» للصحفيين بأنهم في «غازبروم» يخططون بعد الانتهاء من بناء «بيت الذرة» إقامة نصب تذكاري جامع «بقصد تخليد ذكرى أبناء لينينغراد بمن فيهم العمال، الذين قتلوا أبان الحرب الوطنية العظمى، وكذلك شهداء الدفاع عن الأراضي الروسية أثناء الحرب في بحر الشمال».

يكمن تفسير هذه الفكرة الطموحة في أن «مركز أوختا» يواجه معارضة مختلف الجهات الناشطة في هذا المجال: من مهندسين معماريين، وخبراء الآثار، واليونسكو، وأيضاً صحفيين والغالبية من سكان بطرسبورغ. لكن الواضح أن «غازبروم» سوف تحقق مبتغاها في جميع الأحوال، وسوف يرتفع «بيت الذُرة» البالغ ارتفاعه ٤٠٠ متر بكل فخر واعتزاز فوق «تدمر الشمالية»، وذلك رغم صراخ المدافعين عن التراث الثقافي.

إلا أن الانتقادات المنهالة من جميع الجوانب قد أكلّت «غازبروم»، حسب الدلائل، ما جعل موظفي العلاقات العامة في الشركة يكادون يخرجون من جلودهم وهم يحاولون تحسين صورة الشركة. آه، هدموا التمثال؟ إذاً، سيقوم بدلاً منه واحد آخر جديد وأفضل! أفضل بكثير! بل مجمع متكامل من التماثيل! بشرط أن تكفوا عن الوزيز قرب الأذن..

### الليبراليون الجدد بلا ذاكرة

أتعرفون ما هو الجانب الأكثر دناءة في هذه القضية؟

لو لم يدر أحد بموضوع تفكيك التمثال للعمال – الأبطال، لكانت «غازبروم» تفادت ببراعة صرح التماثيل. وهل هو ضروري؟ كل شيء رائع حتى من دون صرح. فشتان بين أربعمائة متر من الزجاج والفولاذ، وبين تصميم معدني بثلاثة أمتار مصنوع من صفيح السفن وبلوحة غير لائقة من الغرانيت.

ماذا تقولون؟ ضحايا الحصار؟ أي حصار؟ وأي ضحايا؟

ولكن، لنأخذ مثلاً، والد رئيس مجلس إدارة «غازبروم» الكسي ميللر. كان ميللر قد روى في إحدى المقابلات معه ما يلي: «جدّي لأمي.. أصيب بجرح خطير بالقرب من بلدة مخويا، ومات في المستشفى. كانت عائلتي تعيش كما كل البلاد: جداي حاربا، وأبي عاش الحصار».

أردتُ أن أقول إن الذين ينوون هدم الصرح وطرد المحاربين من بيوتهم لم يأتوا من كوكب آخر.

أيمكنكم أن تتصوروا حفيد أحد المعتقلين في معسكر أوسفينتسيم، الذي صار مليارديراً ثم قام بشراء الأرض التي كان المعتقل قائماً عليها من أجل بناء مركز تسلية ولهو؟ وأنا أيضاً عاجز عن تخيّل ذلك.

علماً أن الأمر مع معسكر أوسفينتسيم، والحق يقال، أكثر تعقيداً بكثير: فالرأي العام العالمي لن يسمح بذلك. لأن كارثة أوسفينتسيم معروفة جيداً في جميع أنحاء العالم.

حتى إنه معروف أن الجيش السوفييتي هو الذي حرر المعتقل.

ولهذا نجد الصحفي في جريدة The Wall Street Journal المرموقة مارتسين سو تصباك يستشهد بمقالة «أوسفينتسيم: لا مبالاة المحرِّرين». وفيها شهادة النزيلتين في المعتقل سابقاً كازيميرا فاسياك وحنّة فارداك تعلنان أن الجنود السوفييت لم يساعدوهم بشيء: «لقد رجوناهم أن يعطونا ولو قطعة من اللحم، لكنهم قاموا فقط برمي العظام في الثلج».

من الواضح أن المقالة مأخوذة من صحيفة بولونية. إلا أنها ستصبح أيضاً في متناول يد قراء The Wall Street Journal.

لا بد أنكم تفهمون أنه من الصعب جداً نكران حقيقة أن الروس هم من حرروا أوسفينتسيم، وذلك نظراً للشهرة الدولية لـ«مصنع الموت» ذاك.

هل العالم مطلع بدرجة أقل بكثير على مأساة حصار لينينغراد؟ لا، هم كانوا يعرفون يوماً ما، إذ سبق وجاء ذكر الحصار في خطابات بعض الزعماء الغربيين، مثل ريتشارد نيكسون، كما أن المسؤولين عن الدعاية في الاتحاد السوفييتي السابق بذلوا الكثير من الجهد في سبيل نشر المعلومات بخصوص مأساة لينينغراد وبطولة المدافعين عن المدينة المحاصرة، إلا أن كل شيء انتهى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

لقد سقطت قصة الحصار في ثقب أسود، كما هي الحال مع جزء كبير من تاريخ روسيا بشكل عام. ففي تسعينيات القرن العشرين كان الإعلاميون الليبراليون إذا ما ذكروا حصار لينينغراد، فإنما لكي يلقوا باللائمة مرة أخرى على السكرتير الأول لشعبة الحزب الشيوعي (البلشفي) في لينينغراد، الأمين والوفي لستالين الرفيق جدانوف، الذي كان أثناء الحصار «يشرب الخمر بكثرة، ويأكل كثيراً، ويلعب كرة التنس لكي يخفف من وزنه الزائد». وأيضاً لكي يتهموا ستالين ونظامه مرة أخرى بالوحشية: لو أنهم، كذا، قاموا بتسليم لينينغراد للألمان، لكان من الممكن تحاشي سقوط غير مبرر للضحايا. يا لها من سذاجة مذهلة – ما كان هتلر ليبقي على أحد حياً. ففي الوثيقة الصادرة عن قائد القوات البحرية الألمانية الموقعة بتاريخ ٢٩ أيلول عام ١٩٤١ والمتعلقة بتدمير مدينة لينينغراد كان الكلام واضحاً: «يجب محاصرة المدينة بشكل محكم و.. ويجب تسويتها مع الأرض عن طريق القصف المدفعي ومن الطائرات، وأما محاولات تسليم المدينة فيجب رفضها بصورة قاطعة. فالهدف في هذه الحرب القائمة هو حق البقاء، لذلك لا مصلحة لنا في بقاء ولو جزء من السكان أحياء».

### أهالي لينينغراد بين النازيين القدامى.. والجدد

كان الألمان يدركون مغزى ما هو حاصل عند مداخل لينينغراد بدرجة أفضل بكثير من مفكّرينا الليبراليين. الهدف هو «الحق في البقاء». وقد دافع أهالي لينيغراد عن حقهم في البقاء بفضل تضحياتهم الجسدية والروحية. أما في التسعينيات من القرن الفائت فقد صار الحديث عن بطولات المدافعين عن الوطن أمراً غير مطلوب: بل أصبحوا يتحدثون أكثر وأكثر عن سرايا العقوبات والجرائم الوحشية لعناصر وضباط قسم مكافحة الجاسوسية.

فهل من المستغرب أن ينسى العالم بسرعة كبيرة حصار لينينغراد، طالما أننا في روسيا نادراً ما نذكره؟

كان عدد الذين قتلوا من جراء الحصار مليوناً ومائتي ألف إنسان. ماتوا من البرد والجوع والأمراض.. والصمود.

ومع أن محكمة نورنبرغ الخاصة بمجرمي الحرب كانت قد أشارت إلى أن عدد القتلى بلغ ٦٥٠ ألفاً، إلا أن الأبحاث التي أجريت مؤخراً تشير إلى أنه تم تخفيض الرقم إلى النصف.. مليون ومائتي ألف شخص.

كان عدد السكان في مدينة لينينغراد قبل الحرب يبلغ حوالي ثلاثة ملايين شخص. وبعد رفع الحصار نهائياً عن المدينة لم يكن عدد السكان يتجاوز ٥٦٠ ألف شخصاً. وإذا أضفنا مئات الآلاف الذين تم إجلاؤهم، فهذا يعني أن الباقين قد ماتوا بسبب الحصار.

أتذكرون دفتر يوميات تانيا سافيتشيفا؟

كان ثمة تسع صفحات دوّنت فيها التلميذة ذات الاثني عشر عاماً أسماء أقربائها الذين ماتوا وتواريخ وفاتهم. ومن بين تلك الأسماء نذكر: «ماما، ١٣ أيار، الساعة ٧.٣٠ صباحاً من عام ١٩٤٢. مات جميع أفراد آل سافيتشيف. وحدها تانيا بقيت حية».

كان يُظَن بأن مثل ذلك الجرح لن يندمل لفترة طويلة جداً. فمن هو الذي يستطيع أن يمحو من ذاكرة الأمة مأساة بمثل هذا الحجم؟

وها هم يمحون.

فالذاكرة التاريخية غير موجودة عند أولئك الذين يصدرون القرارات بهدم القرية في موسكو أو بإزالة التمثال في بطرسبورغ (لينينغراد). فكل ما له معنى بالنسبة لهم هو الربح الاقتصادي ودورة رأس المال والاستثمارات.

وأما مَن يقوم بتنفيذ تلك القرارات: مهندسون وعمال بناء، ورجال أمن – إنما تحرّكهم اعتبارات أخرى: الانضباط والتراتبية، وعدم الرغبة بمعارضة القيادة. لكن ذاكرتهم أيضاً ممسوحة.

ينشأ انطباع كما لو أن البلاد بأكملها خضعت لعملية استئصال الفص الجبهي.

فمدينة لينينغراد صمدت بالدرجة الأولى لأنها ظلّت في أحلك وأقسى الظروف مدينة حاملة للتراث والتقاليد الوطنية التاريخية. ففي شهر كانون الأول الرهيب من عام ١٩٤١ قام مدير متحف إرميتاج الأكاديمي أوربيلي بتنظيم لقاء احتفالي بمناسبة ذكرى مرور خمسمائة سنة على ميلاد الشاعر والعالم أليشير نافوي. وقد قام المستشرق نيكولاي ليبيديف بقراءة ترجماته لأشعار نافوي. وقد اضطر أصدقاء ليبيديف لحمله على أيديهم إلى القاعة.. كانت لديه أقسى درجة من درجات الهزال. وقد تعرضت المدينة والمتحف أثناء الاحتفال للقصف، إلا أن أحداً من الحاضرين لم يغادر القاعة.

### آخر.. وأعمق الكلام

قد يستطيع الإنسان أن يحيا بلا ذاكرة. لكنها ستكون عندئذ مجرد حياة عادية وبسيطة، إذ سيكون بمقدوره أن يأكل وأن يشرب، وربما أن يتكاثر، لكن بلاداً دون ذاكرة يكون مصيرها الزوال.

لذلك إذا ما ظهر على الخارطة بدلاً من روسيا بعد مرور عشرين سنة «إقليم غازبروم» أو «إقليم روسنفط» وغيرها من التشكيلات الاحتكارية، فالمذنب في ذلك سوف نكون نحن الذين نسينا تاريخنا. نسينا الحصار. ■■

> **الليبراليون الجدد في روسيا يحاولون محو ذاكرة الشعب الروسي وطمس مآثر شهدائه ومحاربيه الذين خاضوا الحرب الوطنية العظمى بكل بسالة وانتصروا فيها وحرروا شعوب العالم من الاستعباد..**

# إنهم يقترفون الرحيل



## بخاري الذي عشق العربية

رحل المفكر السوري برهان بخاري يوم الجمعة الماضي عن عمر ناهز ٦٩ عاماً مخلفاً وراءه مشاريع هامة بحاجة إلى من يترجمها إلى واقع، وقد عرف عن المفكر الراحل عشقه للغة العربية واهتمامه بها حيث وضع الأسس العلمية لأول معجم أوزبكي عربي وعربي أوزبكي، وقد أغنى المكتبة العربية بمؤلفات هامة.

ولد بخاري بدمشق عام ١٩٤١ ودرس الفلسفة واللغة الإنكليزية في جامعتها ثم قام بتنفيذ مشروعه الخاص بمحو الأمية للكبار وأعد بعد ذلك مناهجه لتعليم اللغة العربية للأجانب وتعليم اللغات الأجنبية.

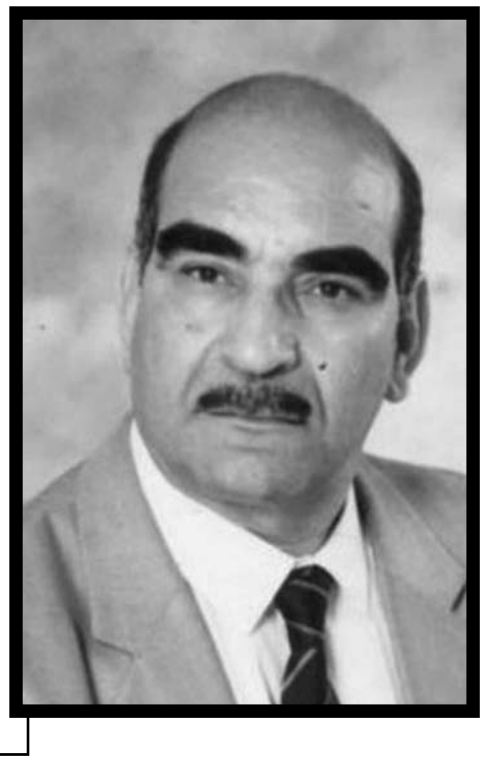
وفي السبعينيات من القرن الماضي بدأ مشروعه الخاص بمحو الأمية لدى الكبار في سورية، حيث كان يزور القرى ويوزع مؤلفاته مجانا، كما أعد بعد ذلك مناهجه لتعليم اللغة العربية للأجانب وتعليم اللغات الأجنبية للعرب.

وفي عام ١٩٧٩ دعي بخاري إلى طشقند عاصمة أوزبكستان للاشتراك في العيد الألفي لابن سينا فكانت هذه الدعوة بداية دخوله إلى العمل الأكاديمي، حيث ترجم لأول مرة قطعا أدبية من الأوزبكية إلى العربية مباشرة بعدما كانت الترجمة قبل ذلك تمرّ عبر اللغة الروسية.

تعززت جهوده الأكاديمية بعمله أستاذا زائرا وخبيرا في جامعة الكويت عام ١٩٨٣، حيث ساهم في تطوير بحث حول الصوتيات العربية بما يعرف بالكلام المركب صناعيا والحاسوب.

كان أول من عمل على تحويل الكلمات المكتوبة إلى صوتية بواسطة الحاسوب، وتوصل إلى تقطيع الأوزان الشعرية (عروضيا) بواسطة الحاسوب.

من أبرز الأعمال التي أنجزها بخاري مجموعة من الموسوعات من بينها موسوعة الحديث النبوي الشريف، وموسوعة شعرية عن نزار قباني، والموسوعة الشعرية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث بالتعاون مع مجمع أبي ظبي وأعمال أخرى.



## الجابري يطوي أوراقه... ويرحل

أربعون عاماً من البحث والكتابة وطرح أكثر الأسئلة خطورةً وراهنية انتهت يوم الاثنين الماضي برحيل الباحث المغربي محمد عابد الجابري، صاحب أحد المشاريع النقدية التي انتجها الفكر العربي في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين.

ابتدأ الراحل مشروعه منذ سبعينيات القرن الماضي مع كتاب «العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي» طارحاً إشكالية التراث الإسلامي و ضرورة تقديم مقاربة معاصرة له لتأصيل مشروع الحداثة في البنية المعرفية العربية الإسلامية، وقادته محاولاته تلك إلى نتيجة مفادها: «لا نهضة فكرية ممكنة من دون تحصيل آلة إنتاجها، أي العقل الناهض» فبدأ بمشروعه المعروف «نقد العقل العربي» بمجلداته الأربعة التي أثارت ولا تزال تثير الكثير من الجدل بين المهتمين بالتراث، وأحدثت لغطاً كبيراً في أوليات وأساسيات النظرة إلى الأسس الأبستمولوجية للمعرفة الإسلامية، حيث دفع الجابري خطاب النهضة العربية من نقد «الفكر الإسلامي» إلى نقد «العقل الإسلامي».

غادر الجابري عالمنا وهو مستمر في عطائه الفكري، حيث كان منهمكاً في مشروع جديد هو «فهم القرآن الحكيم» الذي قدم من خلاله نظرة جديدة للنص الإسلامي المقدس، باعتباره الإطار المرجعي الأساسي للعقل الإسلامي، معتمداً على المناهج الأكثر حداثة في العلوم الإنسانية. ومع اكتمال الجزء الأكبر من هذا المشروع، رحل الجابري مخلفاً لنا إرثاً نقدياً مفتوحاً للجدل لدى الناطقين بلغة الضاد، وتاركاً فراغاً في ساحة فكرية ما زالت الظلامية تشغل مساحاتها الأكبر.

## في شؤون العاشقين.. وعن الاحتجاج الذي أصبح واهناً



◄ **قيس مصطفى**

من يكتب عن العشق اليوم. كل الأدبيات تقدم نصوصاً خاطفة. بمثابة وجبات سريعة يكون فيها الحب مجرد بهارات مكملة للحكاية. كأن الحب الذي يطلبه الجميع أصبح أمراً فائضاً عن الحاجة. من يكتب اليوم عن السياسة؟ وقد صار المنطق يعوز الجميع لأن هناك من يقف ضد المنطق الذي لا يتفق مع رؤى الجالسين في المنتجعات والشقق الفاخرة. هكذا تبدو التكنولوجيا الباردة بمثابة ملاذ ولكنها في الوقت نفسه أصابت أقلام الكتاب في مقتل. كل شيء افتراضي حتى الهوى. وأشكال التواصل الإلكتروني الجديدة وضعت المشاعر الإنسانية في ورطة حقيقية لا تحمد عقباها. وبهذا نلتصق كثيراً بالآلة لنصير جزءاً منها. مجرد جزء أصم لا يعي ذاته. حتى الاحتجاج أصبح بارداً وبلا طائل. وداعاً لفكرة التظاهر والمسيرات الشعبية. وداعاً للعشاق الذين كانوا يسهرون تحت شرفات حبيباتهم منتظرين إطلالة تهيج قلوبهم أكثر مما تشفيها. وداعاً لأشياء كثيرة صارت تختصر بإيميلات يتم تناقلها من باب الدعابات. اجمع مليون شخص على مجموعة في «فيس بوك» لإيصال صوتك. ولكنَّ ثلاثة أرباع المليون ذوو أسماء وهمية وصور وهمية. وهكذا تصير وهماً معهم بلا أي منازع. أوهام تتواصل افتراضياً فيصير الاحتجاج واهناً، والقضايا مائعة. وهكذا أيضاً تنال أكبر القضايا تعليقات ساخرة بما يكفي لتحويلها إلى أتفه قضية على وجه الأرض.

في الفضاء الالكتروني نرتجل الكلام، نشتم ونصرخ، ونقول آراءنا بحرية كاملة ونتنفس ما نعتقد أنه الصعداء لنعود من بعد ذلك فصاميين حتى النخاع إلى العالم الأرضي المصاب بمس من شياطين تقف في مواجهة كل شيء نريد أن نفعله. وعندما نجلس في مراجعة مع الذات نرتد إلى أصولنا ونرتدي عباءات ندعي طول الوقت أننا نعيش لنتخلص منها. نحن أبناء الحرية المجهضة. نفتش عن متنفسات واهية مستعينين بتقنيات همها الأول الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن مجتمعاتنا للاستفادة منها في صناعة إعلانات وبرامج تلفزيونية لتهذبنا نحن الذين يعتبروننا وحوشاً بشرية. تابع فضائية «العربية» وانظر كيف تصاغ الأخبار، وكيف تدفع أموال طائلة لاقناع العرب (الإرهابيين) بإعلانات متقنة الصنع كيف يعودون إلى آدميتهم. وكيف يقصون أظافرهم وينزعون مخالبهم. وهذه الإعلانات بالتأكيد موجهة ضد فكرة المقاومة وليست ضد فكرة الإرهاب.

هل تخطت البشرية مرحلة البحث عن الحب؟ هل نحتاج لوزارة تعنى بشؤون العاشقين بخطة خمسية ما. بالتأكيد لسنا بحاجة إلى ذلك. ولكنه من الممكن ترك الناس يحبون كما يشاؤون كي ننتهي من الجوع العربي المزمن للجسد والحالات المرضية التي ترافقه. ولكن من الضرورة حماية الكتاب الذين يحاولون الكتابة من منطلقات جمالية وثقافية عن الجسد. إذ لا يجب تركهم وحيدين في مواجهة ثقافة أحادية لا ترى إلا نفسها.. دعوهم يعملوا، دعوهم يمروا.

## إخوانيات الصحافة الرياضية

◄ **منار ديب**

لا أدري لما تبعث الصحافة الرياضية على الابتسام بالنسبة لي، إذ أجد كتاب زوايا بالبذلة وربطة العنق أو بالدشداشة والحطة والعقال يوجهون رسائل أو دعوات، بلغة أقرب إلى الثرثرة وأحاديث المجالس، ولاعبين بعضهم لا يحمل الشهادة الابتدائية يدلون بتصريحات خطيرة بالبنط العريض، ومدراء نواد وفرق لا أعرف ما هي مهنتهم بالضبط لأنني لا أعتقد أن هذه مهنة يعلنون عن قرارات يعتقدون أنها ستغير مصير البشرية.

وكله كوم والأستوديو التحليلي كوم، إذ نلتقي بلاعبين سابقين بعضهم صار مدرباً وحكام منهم ضباط وإداريون، يشرحون ما هو مرئي، بمصطلحات تحاول أن تبدو متخصصة لكن العامل البسيط يعرفها، والمضحك أن توقعات هؤلاء المحللين غالباً ما تخيب، ويبدو الأستوديو أشبه بجلسة في مقهى بعد انتهاء مباراة حيث يتشارك جمهور المشجعين الروح نفسها ويرددون ما هو معروف، يظهرون تحيزاتهم ويغضبون أو (يزنبرون) على منافسيهم الخاسرين.

ومن اللافت أن الصحافة الرياضية واسعة الانتشار في الخليج، فهذا الهوس الذكوري (مع الشعر النبطي والحفلات الغنائية الرجالية مئة بالمئة) هو المتعة البريئة وغير المكروهة، لكن أندية هذه الدول المدججة بالمحترفين الأجانب تذوق الهزيمة تلو الأخرى في المنافسات الدولية، رغم أن بعض هذه الأندية يحمل ألقاباً فخمة مستمدة من أدب الصحافة الرياضية، أما المنتخبات التي يصرف عليها الملايين فبالكاد تصل إلى الأدوار الأولى في كأس العالم لتتبهدل وتعود.

من الشائع أيضاً في الدول النفطية أن يتولى الأمراء رئاسة الأندية إضافة إلى المنتخبات و(رعاية الشباب: كم هو رومانسي هذا التعبير)، ولأن الأندية كثيرة والمال وفير فإن الأعداد الكبيرة من الأمراء ستجد لنفسها وظيفة وصفة وشيئاً يشبه العمل، هكذا ستطلق التصريحات التي سيشيد بها صحافيون رياضيون من الأخوة العرب وبعض المتعلمين المحليين الذين وجدوا لأنفسهم عملاً، فهاهم يلومون لاعباً ويتغنون بحكمة أمير يعود كل الفضل إليه مع أنه لا ينزل إلى أرض الملعب، أما كبش الفداء على الدوام فهو المدرب الأجنبي المستورد ذو التكلفة الباهظة والذي لم يستطع أن يقدر بشكل صحيح مواهب وعبقرية اللاعبين الوطنيين. بالمحصلة هذا هو الشأن الوحيد المتاح للتداول وهذه هي الانتصارات الوحيدة الممكنة التحقق.

■■

## ربما ..!

### الحياة على «الفيس بوك»

«الفيس بوك» عش دبابير ويجب الحذر، هذا ما يؤكده الجميع، لكنه استطاع خلق حياة كاملة في فضائه، مستثمراً كل إنجازات الإنترنت، فهو يجمع جميع أشكال التواصل والحضور الافتراضيين: الدردشة والتّدوين والبريد الالكتروني.. ولم يكن ليكون له ما كان من الحضور لولا مأساة التوحد التي تبيّن أن جميع سكان هذا العصر يعانون منها، ويبدو لو جئنا لنضع اسماً لهذا العصر كأسماء العصور السابقة فلن نجد أبلغ من: عصر المتوحدين!

كلّ هذا الاهتمام الذي أثاره هذا الموقع الذي ملأ الدنيا وشغل الناس يأتي من فقداننا للحياة الاجتماعية بمعناها الحميميّ، وتحولنا إلى كائنات منفية ومغتربة حتى في بيوتنا. جاء «الفيس بوك» ليعالج حاجة التّواصل بهذه الطريقة التي اقترحها، وهي عموماً طريقة رائعة، ينصهر في بوتقتها: الحب والصداقة والنضال والتسلّق، كلها جنباً إلى جنب. أظن أن جمالية هذا الموقع تكمن في أنه مثل الكتابة يسمح لك بالتفكير على العلن، هكذا فإن جميع أعضائه مكشوفون ومفضوحون، كما تفعل النصوص بكتّابها.

يبقى هذا الموقع إشكالياً ومحل خلاف في كل شيء، فإن أثبت نجاعته السياسة الساحقة في المظاهرات الكثيرة التي قامت في عدد من دول العالم بسببه، فإنه أيضاً حارق للوقت وجالب للإدمان..

الحضور الأبرز للكتاب من مختلف الأجيال، فهولاء الذين يعيشون تهميشاً لا نظير له وجدوا مكاناً للحضور والتفاعل، كما لو أنهم في مقهى، مقهى مفتوح على الجغرافيا، في عالم ضيق على الفن والأحلام.

تقول الحياة على «الفيس بوك»: كم أننا غرباء في هذا العالم!!

■ **رائد وحش**
raedwahash@kassioun.org

## ركن الوراقين

### الرماد الحار



يشغل التوثيق لسباق التسلح النووي بين مختلف الدول الكبرى مكان الصدارة في كتاب «الرماد الحار» حيث يقوم الصحفي السوفييتي الشهير فسيفولد أفتشينيكوف بأسلوب يجمع بين الجنس الوثائقي والقص البوليسي السياسي بسرد المراحل الدراماتيكية من السباق لامتلاك السلاح والتقنيات النووية الذي جرت فصوله أثناء الحرب العالمية الثانية، وشاركت فيه فرنسا وإنكلترا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان. كما يكشف الكاتب عن جذور السياسة الأمريكية في الابتزاز النووي التي لم تكن موجهة ضد الاتحاد السوفييتي وحسب، بل ضد حلفائها العسكريين والسياسيين بمن فيهم فرنسا وإنكلترا. الكتاب من ترجمة المترجم المبدع د. إبراهيم استانبولي، وصدر عن «الهيئة العامة السورية للكتاب»، وسيكون لقاسيون وقفة مطولة في قراءته وعرضه قريباً.

### السرد والكتاب



ملحقاً بمجلة دبي الثقافية، صدر كتاب «السرد والكتاب» للأديب العراقي محمد خضير الذي يحاول أن يرتاد آفاقاً جديدة في الكتابة عن الكتابة، متطلعاً إلى لغة أكثر تجريداً، ألا وهي لغة الأدب التي يرى المؤلف أنها تحرر الكاتب من الشخصي والذاتي إلى الموضوعي. ويقوم بالتعريج على النظريات ذات العلاقة بقضية السرد.

قسَّم خضير كتابه إلى قسمين: الأول عن السرد واستعمالاته، والثاني عن استعمالات الكتاب. وكلا القسمين جاءا نتيجة جمع كتابات متفرقة في وقت تأليفها، ولكن يجمعها وحدة الموضوع.

يذكر أن محمد خضير قاص وناقد أدبي من مواليد البصرة عام ١٩٤٢، صدرت أولى مجموعاته القصصية عام ١٩٧٢ بعنوان «المملكة السوداء»، واتبعها بأربع مجموعات قصصية، فضلاً عن العديد من الكتابات النقدية، ورواية بعنوان «كرّاسة كانون».

(تم إغلاق تحرير هذا العدد مساء يوم الأربعاء 2010/5/5 ) «قاسيون» يصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

# عادل خضر:

# العمل الجسدي يحتوي على متعة نقية صافية

◄ حوار: مهند دليقان

**يتحدث التشكيلي عادل خضر بلغة عميقة نفاذة، لا تقل بلاغة عن لغته في محترفه، إذ قلما نجد لدى التشكيليين من هو قادر على الحديث عن شغله بهذه القدرة التي يمتلكها هذا الفنان.. هنا حوار معه..**



**كيف تصف الدور التعبيري الذي تلعبه الخامة المختارة في تشكيل عملك، وهل يتوقف اختيارها على ضرورات تقنية أم أن للخامة أبعادا أخرى؟**

منذ البدايات الواعية للإنسان استخدم ما توفر له في الطبيعة من مواد جاهزة،كي ينقش أو يمثل عليها ما يريد التعبير عنه من أفكار تواصلية مع الآخرين (الأحجار-الطين—الخشب- عظام الحيوانات..) وفي العصر الحديث الصناعي أنتج لنا مواد جديدة (معدنية- بلاستيكية- ورقية- وخلائط متنوعة وصولا إلى الفيديو وأجهزة الحاسوب ..)، إذا إن الخامة هي بالضرورة حامل التعبير الفني، وكل مادة أو خامة لها طاقة وتأثير على المتلقي تتعلق بطبيعتها الميكانيكية والفيزيائية والكيميائية ويبقى على الفنان أن يجيد الاختيار الذي يحقق التوافق والتوازن بين الفكرة، وما تحمله من دلالات حسية ونفسية، وبين قابلية التشكيل والتكوين، وهنا على الفنان أن يكتسب المهارة والتقنية اللازمة والأسلوب المتميز للتعامل مع هذه المواد، وأن يكتشف ويفجر طاقاتها الكامنة، وهذا حال جميع الفنون فآلة العود أو خشبة المسرح أو الكاميرا أو اللغة.. هي جميعها أوعية وأدوات للتعبير والمعرفة.. وأنا من الذين يرغبون في البحث واكتشاف إمكانيات كل ما يقع تحت يدي من مواد وخامات لأوظفها في التشكيل الفني.

**في السنتين الأخيرتين عملت بكثافة على خامة الحديد هل من رابط بين المدينة وتضخمها وبين الحديد بقساوته ولمعانه؟**

توظيف الحديد فنياً يعود إلى ما قبل تضخم المدن واتساعها، ولا أرى رابطا بين الاثنين، كل ما يشغلني هو مقدرة هذه الخامة أو تلك على أن تجسد أفكاري وتمنحني حرية في التشكيل والتعبير

الحديد نعم قاس وجاف وأنا ممن يستمتع بعناد وقساوة المادة، فهي تستنفر كل طاقتي في العمل وهذا ما يحقق لي المتعة والبهجة في إنجاز العمل الفني، كما أنني أعتقد أن العمل الجسدي بحد ذاته يحتوي على متعة نقية صافية، وهو يمنح الفنان شعوراً جماليا حرا وخلاقا ويزوده بشحنة عاطفية، لها تأثير كبير على المنتج الفني، وأعتقد أن جميع الخامات وبشكل مجازي هي أرواح ولها أحاسيس ومشاعر وعلينا أن نقيم معها علاقة حب لتبادلنا إياه.

**في شخوصك الحديدية الرؤوس كلها، إلا ما ندر، منكسة هل لأن الإطراق يحمل طاقة تعبيرية أقوى؟ أم هو موقف من الحياة؟**

إن الرأس في جسد المنحوتة بؤرة جذب شديدة التأثير على المتلقي، وتحديدا الوجه، فهو المرآة التي تعكس الشعور والوجدان الداخلي وحالات التعبير الإنساني المختلفة، فالمتلقي يتجه نحوه مباشرة لامتلاك مفتاح قراءة العمل الفني، ومن ثم الغوص في أعماق ومدلولات المنحوتة، هذا شبيه بتصرف الإنسان حيال لقائه أول مرة بشخص آخر لا يعرفه. بالعودة لسؤالك عن الرؤوس المنكسة، بالتأكيد لا أعني فيها حالات الانكسار إلا القليل منها، مع احترامي لهذه الحالات كونها تمثل حالة إنسانية طبيعية. إن شخوصي في الغالب تحمل أسئلة حياتية وإشكالية وهي تميل برؤوسها إلى الأسفل نعم، ولكن في حالة من التفكير والتأمل العميق، وفي حياتنا لاحظ عندما تطرح سؤالا صعبا على إنسان فغالبا ما يحني رأسه وينظر إلى الأرض ليبعد التشويش البصري الذي حوله، وليأخذ فسحة أوسع من التفكير قبل الإجابة.

أما موقفي من الحياة فأردد ما قاله جبران: «إن الحياة لا تقيم في منازل الأمس».

**«ما فهمت شي» كثيرا ما نرددها — كشباب - لدى وقوفنا أما عمل تجريدي بحت، ويأتينا الجواب أحياناً بأن علينا أن نبحث عن إحساسنا تجاه العمل لا عن فهمنا له، هل لهذه المعادلة من حلول؟**

سؤال ليس بالسهل وعلي الاختصار والقول بأن الإنسان منذ البدايات الأولى استخدم أدوات تعبير متعددة ومختلفة، بدءا من الإشارة والإيماء والرمز والصوت والرقص وصولا إلى اللغة، وهذه الأخيرة كانت حاسمة بتطور عقل الإنسان ونمو تفكيره ومعارفه. إذا دققنا في أدوات التعبير المشار إليها نجدها قائمة من حيث البناء على الشكل «لغة الفن التشكيلي في العصر الحالي»، فإذا تمت المقارنة نجد التشابه على النحو التالي: عناصر التشكيل كما نعرفها حاليا (النقطة، الخط، الحجم، الأبعاد، الضوء، اللون، المساحة، النسب، الملمس..)، هي ذاتها تقريبا التي استخدمها الإنسان في بداياته الأولى، فهناك إذا لغة تشكيل مشتركة ما زالت مستمرة، مع فارق درجة نمو وتطور الفكر البشري المطرد والقائم على تقدم وسائل العمل وتطور العلوم وخاصة التطبيقية كالفيزياء والميكانيك والرياضيات..

وإذا ما استعرضنا هذه التغيرات نجدها تمت على النحو التالي: على جدران الكهوف يظهر استخدام واضح لأدوات التشكيل عبر التصوير والنقش والحفر، حتى اللغة أتت بأشكال ورسوم وخطوط (الهيروغليفية - المسمارية..) ثم جاءت مرحلة الصورة والتمثال للعبادة خوفا من ظواهر الطبيعة غير المفهومة بتقلباتها، وصولا إلى ديانات التوحيد وهي مرحلة متطورة، بالانتقال إلى التجريد حيث أصبح الإله مجردا عن الملموس والمجسد وانتقل إلى المتخيل كفكرة وقد سيطرت الأديان لفترات طويلة على الفنون واتخذت منه وسيلة هامة للقراءة والقص والتكريس، وتم إخضاع الفن كأداة للتفسير والتفهيم والتوضيح والتي مازلنا نتأثر بها إلى الآن كقولك في سؤالك «ما فهمت شي»، إلى أن خطا الفن في بداية القرن العشرين مع بيكاسو وماتييس وآخرين خطوة حاسمة باتجاه تنقية الفن التشكيلي من لغة المحاكاة التقليدية (طبيعة- بورتريه- قصص دينية- أدبية ..الخ)، واتجه الفن التشكيلي نحو الابتكار والتجديد وتفعيل مخيلة الفنان والعودة به إلى منابع الطاقات التعبيرية البريئة، عبر بناء تشكيل فيه حداثة ومستجيب لمتغيرات الواقع وتطوراته، وللمشاعر الداخلية والأفكار الجديدة للإنسان، بحيث أصبح المضمون والمعنى «الفهم» نابعا من بنية العمل التشكيلي، فهو صامت ومحسوس بعيدا عن لغة اللفظ والأدب وبهذا يحل محل (أفهم أو لا أفهم)، أرى وأحس وأستمتع وأتأثر. ودعني هنا أستعر من مقال للكاتب بلند حيدري حول هذا الموضوع «أنت تسمع صوت العصفور وتطرب له ولكن لا تفهم ما يقول».

■■

## شو يعني

**أن كل السيدات الخاضعات لعمليات تجميل في بلدنا لهن شكل الأنف نفسه، والشفاه نفسها، والخدود نفسها؟ هل هو فريق عمل واحد من أطباء التجميل ذلك الذي يقوم بتشويه المرأة السورية!**

## صالح علماني.. ثروة وطنية يجب تأميمها

عرضت «الجزيرة الوثائقية» فيلماً عن المترجم الفلسطيني صالح علماني، من إعداد وسيناريو علي الكردي وإخراج الفوز طنجور. تناول الفيلم شخصية صالح علماني عبر ثلاثة محاور هي: البحث عن الطفولة، البحث عن الذات، الحياة ـ الترجمة.

في القسم الأول ذهبت الكاميرا مع الترجمان الشهير إلى بيت الأهل الضائع في مخيم حمص، والذي لم يعد يعرف له مكان، وتحدث صالح عن ذكريات الطفولة القاسية في ذلك المكان. أما في القسم الثاني فتركز الحديث على سفره إلى إسبانيا حيث ذهب لدراسة الطب وتركه بعد سنتين، ثم توجهه لدراسة الصحافة التي عافها بعد سنة واحدة، ليعود دون شهادة لكن مسكونا بلغة سرفانتس التي سيكون ممثلها الأول في الثقافة العربية، عبر الترجمات الكثيرة التي سيعمل عليها منذ ذلك الوقت، وحتى يومنا الحاضر، والتي بلغت حتى هذا التاريخ واحدا وتسعين كتابا .

في الفيلم يروي الشاعر أحمد دحبور حكاية عن صدور مختارات إسبانية للشاعر رفائيل البرتي، وطلب محمود درويش ترجمة البعض منها لمجلة «شؤون فلسطينية» حيث قام دحبور بتكليف صالح الذي أنجز الترجمة وأرسلها، فما كان من درويش إلا أن اتصل بدحبور ليسأله عن هذا المترجم المبدع، ويصفه بإعجاب كبير: «هذا الرجل ثروة وطنية يجب تأميمها».



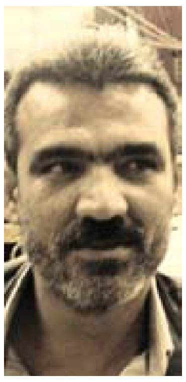
يتحدث صالح عن أصدقائه، وعن بيته، وعن شريكة حياته نادية خليل التي يدين لها بالفضل الكبير في عمله، حيث يقول: «لولا نادية لما كنت لأنجز هذا العمل كله». ثم يتحدث عن البيت والحارة..

الفيلم يقدّم، بلغة بصرية مدهشة، مادة توثيقية في غاية الأهمية عن رجل كرّس نفسه لخدمة الثقافة العربية.

■■

## بين قوسين

## التائبات والتائبون



◄ جهاد أسعد محمد

تُثبت «التوبات» المتلاحقة التي «يعلنها» بين الحين والآخر العديد من مشاهير ومغموري العاملين في الفنون والآداب والسياسة، أن قسما لا يستهان به من الناشطين في هذه المجالات الإبداعية على قدر ضئيل من الوعي والثقافة واليقين بما يفعلون، وأن الوجود الفيزيائي «التاريخي» لهم في مواقع فكرية أو إبداعية أو اجتماعية محددة لفترات متفاوتة، لم يكن وجودا صميميا وعضويا، مرتبطا بمشروع أو بفكرة أو بغايات عامة كبرى، بقدر ما هو ظرفي وطارئ وانتهازي، ساهمت في إنتاجه على هذه الشاكلة عوامل عدة مؤثرة، يأتي في مقدمتها الظرف الموضوعي التاريخي أو «الموضة الدارجة» المتزامن مع سيادة الأمية بشكل عريض من جهة، وعدم تكافؤ فرص إثبات الذات لموهوبي شرائح المجتمع المختلفة من جهة أخرى.. وعلى هذا الأساس فإن اختراق وزعزعة الأفكار العدمية للقناعات الهشة لدى معظم فقيري الوعي من المشاهير باتجاه تغيير نافذة وطبيعة الارتزاق، من باب «الحلال والحرام»، و«الثواب والعقاب»... أمر بغاية البساطة!

المشكلة في «توبة» هؤلاء العابرين في حقل الإبداع على اختلاف سرعات عبورهم، أنهم يساهمون بصورة فاعلة في تكريس فكرة ظلامية أنتجها غلاة الكهنوت المتزمت لبعض الديانات المتأخرة دون أن يستندوا لنص واضح وصارم، وهي أن مزاولة العديد من الفنون أمر محرّم، وبالتالي يصبحون نموذجا حيا للعاصي التائب، وحجة وحرية ومثالا بيد العدميين لتثبيت ونشر أفكارهم ومشاريعهم الرجعية بسهولة أكبر في أوساط ينهشها الجهل والخوف والفقر منذ زمن طويل، وها نحن في كل يوم، يطالعنا تائب جديد.. يفاجئنا ممثل معتزل تحول إلى داعية، بسرد تفاصيل مسيرته من الضلال (الفن) إلى التوبة، وتعظنا «الحاجّة فلانة» الممثلة والراقصة سابقا والتي تسعى بكل الوسائل بما فيها الوعيد لسحب أفلامها من التداول، بضرورة العودة إلى الطريق القويم، وينشر أحد السائرين السابقين في ركب اليسار كتابا عن مخاض انعطافته التاريخية إلى اليمين بامتداداته المتلبرلة والمتأمركة، ويصعقنا مغنّ من عصر الكليب بتغيير هيئته وانضمامه إلى فرقة «إنشاد» أو إلى صومعة ما، داعيا جميع زملائه السابقين ليحذوا حذوه!.. وهكذا دواليك..

فضيلة هذه الظاهرة الحاضرة بقوة اليوم، بسبب المناخات الاجتماعية والسياسية السائدة وما نتج وينتج عنها من خيبات وانتكاسات عامة وشخصية، أنها تفضح بعض أسباب وجود فجوات وانزلاقات كبيرة في المنجز الإبداعي والاجتماعي العربي الحديث بمختلف تفرعاته الفكرية والفنية والأدبية والسياسية، الذي لم يرتق في غالبيته لمستوى التحديات القائمة، وتكشف عن سطحيته وعفويته وقصوره، وتعري شريحة واسعة من متسيدي المنابر والمواقع المؤثرة ومحتكري الحضور «التاريخيين»، وتفتح الإمكانية لملء الفراغات التي ستأخذ بالتزايد، بنوعية أكثر عمقا ووعيا وتعمدا ويقينا من الكادرات الموهوبة والمبدعة.

لقد شكلت الفنون والآداب الراقية بأنواعها المتعددة تاريخيا، الترجمان التعبيري للأديان القديمة بروحيتها وفلسفتها ومسار نشوئها وتطورها، وظلت ملازمة لها ومعبرة عن طقوسها المختلفة طوال عدة آلاف من السنين، لكن عوامل متعددة نضجت في القرون الوسطى أدت إلى الفصل القسري بينهما، فسار كل منهما في طريق مختلف، واليوم هناك من يحاول بطريقة منظمة تعميق هذه الهوة برساميل كبيرة موحدة عبر فرض إطارين إعلاميين يبدوان متناقضين تماما من حيث الظاهر، وهما محطات الدعوة من جهة، ومحطات «الفن الرخيص» من جهة ثانية، بإيحاء استبدادي خفي أنه ليس أمام الناس إلا الاختيار بين «الفضيلة» و«الرذيلة»، مكرسا ثنائية وهمية من نوع خاص، ومغيبا الخيارات الأخرى الأكثر واقعية وصدقا وإنسانية، متناسيا أن عوامل الفصل القسري قد تراجعت موضوعيا بحكم التطور، وأن العالم الروحي للإنسان أوسع من أن تضبطه وتحدده الرساميل، وأرقى من أن تحكمه الغرائز، وأزهى من أن يستبد به السواد..

mjihad@kassiou.org